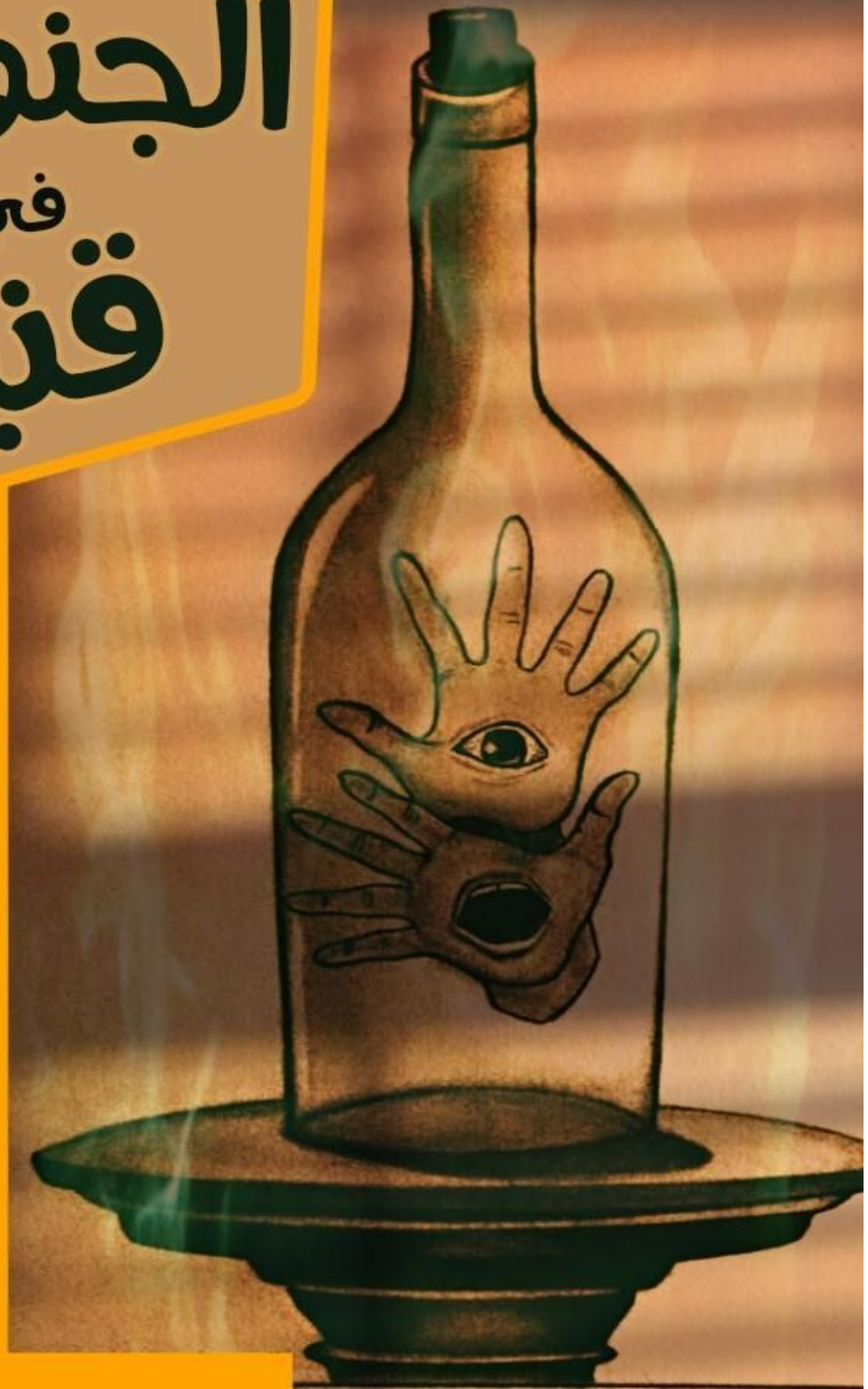


# الجنون في قنينة



آلاء آل سليمان

أمانى باطرفي

تهاني المبارك

ياسمين الشهري

رواية

# الجنون في قنينة

تأليف

فريق..نخبة الكتاب

آلاء آل سليمان      أمانى باطرفي  
تهاني المبارك      ياسمين الشهري

Twitter :@ 4insanity2020

رسومات الغلاف إهداء من :  
أمانى باطرفي      نهى عقيلي

## إهداء..

إلى مَنْ يُردّد دائماً "عساكم على القوة "  
الأستاذ الفاضل والملهم لكثير من الكتّاب المبدعين ... عبدُالله سعيد باقلاقل  
لقد كانت تراودك أمنيةً ، طالما سعت لها ، وهي أن نبدأ معك خطواتنا  
لتحقيق الحلم ...  
فكنت لنا خيرَ مُعينٍ ، وقَدّمتَ لنا كلَّ دعمٍ وتحفيزٍ ...  
فخرجتُ حروفنا من السرايبِ المظلمةِ إلى نورِ الواقعِ ،  
ليتحققَ الحلم ويصلَ إلى عَنانِ السماءِ بإصدارِ أولِ عملٍ جماعي لنا في كتابةِ  
الرواية؛ حيثُ كانَ لك الفضل بعد الله عزّ وجلّ في جمع أفكارنا وتجاوز  
الخوف من البداية، لتصبحَ واقعاً وانفاقاً وتآلفاً لإخراج هذه الرواية:  
" الجنون في قنينة "  
نسأل الله أن تتال الرضا والقبول، وأن تكون هي أولى خطواتنا للتميّز وأن  
يكتب لك الأجر المضاعف لما بذلته معنا.  
فأنت نبراسٌ يضيء حياة المتفائلين.

آلاء آل سليمان أمني با طرفي تهاني المبارك ياسمين الشهري

## شيطان القرية

\*\*\*\*\*

في صباح يوم الإثنين ، وفي وسط سوق قرية "تُولِيدُو" ذاك السوق الذي يقصده كلُّ أصحابِ القرى المجاورة ، ويجتمعون ؛ ليتباهى كلُّ منهم ببضاعته ؛ حتى يجذب بها أعين المتسوقين ، كانوا يبيعون المواشي ، والطيور ، وأنواع الفواكه ، وكان البرتقالُ ألمعهم ، والأواني ، والفخار ، المتميزين فيه بزخارفه التاريخية ، انسجم الباعة مع بعضهم البعض ، رغم أنَّهم يتنافسون ، وأخذوا يترنُّحون على عزف فرق الموسيقى الأسبانية المتواجدة في السوق .

كانت السعادة تحفهم متناسين وقت اقتراب الغروب وهذا هو الشيء المرتقب !

في ساحة السوق الكبيرة المحتفظة بعبق تاريخ الأندلس القديم ، وأيضاً في لباس تجارها ، فلباس تاجر الفاكهة المزوج بالحريز مع القطن المصفى تغلو رأسه قبعة من تراكات الأمويين الذين حكموا الأندلس قديماً

دنا رأس تاجر الفاكهة ؛ ليهمس في أذن جاره بائع الأواني قائلاً له :

- أ تظن أن يحدث اليوم كما حدث بالأمس ؟

هز تاجر الأواني رأسه

- أرجو ألا يحدث ..

قاطع حديثهم مجموعة من العربات المحملة بأبهر أنواع الأنسجة ، وأخذت أعينهم تتبعها بينما الشمس تسحب أشعتها بتسلل بطيء ، وكانت النساء موزعات عند تجار الأقمشة ، وتجار الخمریات الفوَّاحة ، كن يتبادلن المهاترات مع الباعة بشأن تخفيض الثمن ، فقد كان فقرهم هو سارق ملذاتهم وما يحبون اقتتاءه .

بين الجميع جلوس وحيداً ، لا يعرف الأمان ، تتخبَّط نظراته الواثقة بين المارة يمينا ويساراً ، لا يعنيه كونه منبوذاً ، أو هكذا يضطَّع ، ينظر خلصة إلى رفيقه اللذين يجلسان في المحل المقابل له ، ذلك المكان الذي اعتاد الجلوس فيه معهما ، ولكن حبل وصالهم قد انقطع منذ خمسة أيام ، يتمنى أن تصيب نظراته نظرة إشفاق منهم ، أو أن يسمع بمحض الصدفة .. 'تعال معنا'.

لا ، لست مجنوناً ليخافوا مني ، ولست كما يدَّعي كل من حولي بأن شيطاناً توطد في جسدي - أنا إنسان أحتاج إلى منزل يؤويني ، وإلى عائلة أحبها وتحبني ، وإلى أصدقاء أساطرهم أحاديثهم وأحلامهم !

تَغَيَّرَ حاله وبدأ يتألم إلى أن سقط من طوله ، وتَدَخَّرَ على الأرض ، وصارَ يَتَلَوَّى حَوْلَ نفسه

ثم قال بأعلى صوته :

- أنا مثلكم، أنا مثلكم!

و بصراخه فَجَرَ بُرْكَاناً كَانَ يَتَوَقَّدُ فِي جَسَدِهِ ، وازدادت الصرخاتُ لِيُطْلَقَ شراراتُ تناوبتُ بينَ صرخاتٍ مُدَوِيَّةٍ ، وبينَ عَوِيلٍ كَعَوِيلِ ذَنْبٍ مَفْتَرِسٍ يدورُ حَوْلَ نفسه، مُسْتَخْدِماً يَدَيْهِ لتعذيبِ نفسه ، من لطمِ وَجْهِهِ ، وشدِّ لشعرِ رأسِهِ بوحشيةٍ ، وتمزيقِ لملابسِهِ الباليةِ .. وفي الجانبِ الآخرِ من السوقِ كانتُ هناكَ عيونٌ لامعةٌ تراقبُهُ ، يعودُ لمعانُها لدمعةٍ ملأتُ عيناها الزرقاوتان لفتاةٍ لَمْ تَتَحْمَلْ رؤيةَ الشابِّ - وَهُوَ يُصَارِعُ رُوحَ الذَنْبِ التي تسكنُهُ - ، أرادتُ الذهابَ إليه ؛ لعلَّها تُهدئُ مِنْ رُوعِهِ ، ولكنَّ يَدَ ابنةِ خالتها كانتُ أُسْبِقُ من حُطواتِها

- هَلْ جُنَنْتِ يا جِيسِيكا؟! ، أترِيدِينَ إلقاءَ نَفْسِكَ إلى هَذَا الشَّيْطَانِ البَشَرِيِّ؟

- ولكنَّ، أَلَمْ تَرِي مقدارَ معاناتِهِ؟

- وَأَنْتِ أَلَمْ تَرِي أَنَّ كُلَّ مَنْ حَوْلَنَا لَا يَأْبَهُ بِهِ؟

- هَلْ الرَّحْمَةُ انْتَزَعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمْ؟!

سَمِعَ حديثَهُمَا صاحبُ المحلِّ الذي يقفُ بجانبَهُمَا ،

- اسْمَحَا لِي أَنْ أَتَظَلَّ عَلَى حديثِكُمَا ؛ لَقَدْ فَعَلْنَا مَا بَوَّسَعْنَا لِتَرْوِيضِهِ الْأُسْبُوعِ الْفَائِتِ بِطُولِهِ .

أَجَابَتْ جِيسِيكا :

هَلْ تَقْصِدُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَكُونُ بِهِذِهِ الْحَالَةُ؟

- نَعَمْ، كُلَّ يَوْمٍ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ قُبِيلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ .

- يَا لِلْمَسْكِينِ

- وَلَكِنْ لَا تَقْلَقِي سَيَتَجَوَّلُ بِهِذِهِ الْحَالَةُ فِي أَرْجَاءِ السُّوقِ نَاشِرًا الرَّعْبَ لِمَدَّةِ سَاعَةٍ ثُمَّ يَهْدَأُ ، وَيَرْجِعُ إِلَى طَبِيعَتِهِ.

- هَيَّا يَا جِيسِيكا، دَعِينَا نَرْجِعُ إِلَى الْمَنْزِلِ أُمِّي تَنْتَظِرُنَا.

- انْتِظِرِي حَتَّى يَهْدَأَ ، حَتَّى أُسْتَطِيعَ التَّحَدَّثَ مَعَهُ .

- قَطْعًا لَا .

أَمْسَكَتْ إِيزَابِيلَا يَدَ جِيسِيكا وَجَرَّتْهَا لِتَلْحَقَ بِهَا، إِلَّا أَنَّ عَيُونَ جِيسِيكا كَانَتْ مَسْمُورَةً فِي هَذَا الذَنْبِ الْمَسْكِينِ.

## حينما يحتاج الطبيب لطبيب

\*\*\*\*\*

نيكولاس خوسيه.. مُعالجٌ نفسيّ وعالمٌ مبتكرٌ لديه تجاربٌ عديدةٌ في ابتكارِ مركباتٍ علاجيةٍ أسهمت في تطوير الصحة النفسية ؛ ويرجع ذلك لذكائه مقارنةً بعمره الذي لم يتجاوز الثلاثين ، حادُّ الطبعٍ متقلبُ المزاج ، يملكُ قدرًا كبيرًا من الجاذبيّة الذكوريّة التي تتمركز في غموضه ، طويلُ القامة حسنُ الوجه ، أصهبُ البشرة ، شعره قصيرٌ ومجعدٌ. يعيش نيكولاس في مدينة طليطلة الإسبانية المشهورة بمدينة الثقافات الثلاثة ، التي تحول اسمها في وقتنا الحالي إلى 'توليدو' TOLEDO المدينة الساحرة بمبانيها الشاهقة ، ومعالمها الأثريّة الفارحة ، يتدفقُ منها نهرٌ 'تاجة' ، والذي يُضفي لسحر طبيعتها الخلابة جمالاً فوق حسنّها.

اعتادَ الطبيبُ الجلوسَ في إحدى عُرفِ منزله الكبيرة التي تتميزُ بطابعٍ كلاسيكي فاخرٍ تغمرُ من يطأها بالدفءِ الخريفي. جدارُ الغرفة تتوسطه مدفأةٌ ، ويحيط بالمدفأة أربعة أرائك من الجلد الأخضر الداكن ، تتوسطها طاولة دائريّة الشكل تقع فوق سجادٍ أكبر قليلاً من حجها مزخرفة بنقوش نباتيّة متداخلة ، وفي الجهة المقابلة من الجدار تقع نافذة طويلة من الزجاج يحيط بها إطارٌ خشبيّ كستنائي أضفت على المكان هيبةً ، كانت النافذة مقترنة بكرسيّ متحركٍ ضخم الحجم مجاوراً لها ؛ يجلس عليه الطبيبُ نيكولاس مُحدّقاً من خلالها إلى السماء التي زينتها بعض المباني الشاهقة والسحاب المُبعثر الذي ينبئ عن جوٍ صحوٍ وجميلٍ .

كان الطبيب شارد الذهن من الخارج وفي داخله يواجه مشاعر عميقة ، يسترجعها بكل تفاصيلها ويستشعر كل إحساسٍ مرتبطٍ بها ، فهو يرى بأنّه لا ضيرَ في إيقاظ الماضي المزعج إذا كان إيقاظه يحقق تجربةً حقيقيةً لأحداثه ، حتى وإن كانت مؤلمةً.. كذكرى وفاة زوجته لوّنا قبل عامٍ حيثُ سعدتُ روحها إلى السماء بين ذراعَيْه ، متكوراً على جسدها بأجنحته كأنّه ملاكٌ يحتضنّها ، يتفحص وجهها بيديه المبللتين بالدموع ، ويستنشقُ خُصلات شعرها الذهبيّة ، ثم أغلقَ عينيها اللوزيتيّتين الشاحِصَتَيْن لأعلى بعد أن تعمّقَ بنظره فيهما كأنّه يرى شريطَ لحظاته الجميلة معها ولكن باللون الأبيض والأسود.

وبهذه الذكرى أُسْدِلَ الستارُ معلناً عن انتهاء آخر مشهدٍ جمعَ بين الحبيبتين .  
وبلمحةٍ سريعةٍ تبدلتْ تخيُّلاتُهُ الباهتةُ إلى أحداثٍ ملونةٍ حدثت قريباً، تيقن ماهيتها، فما كان  
منه إلا أن يقاومها ، يأبى استرجاعها ولكن بعدَ حينٍ رَضَخَ لها وسمَحَ لها بالمرورِ في  
خياله ؛ فارتختْ أعصابُهُ ؛ لتمرَّ ذِكْرَها السيئةَ بسلامٍ في دماغه .

أريدُ أن أصلَ إلى ذروةِ الألمِ ، سأجمعُ كلَّ مفرداتِ الألمِ في مُخيلتي ، ثم ألبسُها لباسَ  
السياديةِ ثم امنحُها الأذنَ بضربي وإنهاكِ قُواي النفسيةِ إلى أن تبلغَ مبلغَ أخذِ رُوحِي  
المعذبةِ وترسلُها إلى حبيبتِي لترتاح .  
ورغم أن عينيه مغلقتان في الحقيقة إلا أن دموعه انهمرتَ منهما بعدَ مخاطبةِ هواجسه التي  
داعبتْ أحاسيسه بعنفٍ .

بدأ مشهده الملون في غرفةٍ صغيرةٍ عاريةٍ، صماءٍ، مجردةٍ من الزمانِ؛ يقفُ فيها  
نيكولاس في أبهى حُلّةٍ يلبسُ طقمَ زفافه الأسودَ الأنيقِ ، لمع ضوءٌ خافتٌ من بابِ الغرفةِ  
ثم ازدادَ إشراقاً مع دخولِ الفاتنةِ لونا ..  
كانت ترتدي ثوبَ الزفافِ الأبيضِ الطويلِ الذي أظهرَ مفاتنَ جسدها الأنثويِّ، اقتربتْ منه  
على استحياءٍ ، ثم تبادلَا نظراتِ الهيامِ ، و عباراتِ الشوقِ ، أرادَ نيكولاس التوددَ لها وما  
أن لمسَ خَدَّها المُخملِيَّ .. إلا تبدلتِ الحسنةُ لتتحولَ إلى حمامةٍ بيضاءَ مربوطةٍ في رقبتها  
لفافةً من الورقِ ..

- لونا حبيبتِي، لا ترحلي، خذيني معك .  
ردَّدها وهو يجْهشُ بالبكاءِ جاثياً على ركبتيه مؤشراً بيديه إلى الحمامةِ ..  
وبعدَ بُرْهةٍ سقطتِ الحمامةُ أمامه ثم فتحَ اللفافةَ سريعاً وكان مكتوبٌ عليها...  
" إلى السيد نيكولاس حُوسِيه : نُحيطُكم علماً بأن تجربتكَ العلميّةَ رُفِضَتْ مِنْ قِبَلِ  
الجهاتِ الصحيّةِ المختصةِ ؛ لعدمِ توفرِ اشتراطاتِ السلامةِ وخطورةِ تجربتها على  
المرضى .. وشكراً "

كانتْ هذه الجملةُ كفيلاً لإحياءِ ذكرى رفضِ تجربتهِ العلميّةِ التي ابتكرها بعدَ موتِ لونا،  
فقد تركَ مزاولَةَ مهنتِهِ والتفرّغَ للابتكارِ ؛ ليشغلَ نفسه عن التفكيرِ في زوجته والانعزالِ  
عن الناس .

رَجَعَ من رحلةِ خياله إلى عالمه الحقيقيِّ أمّامَ زجاجِ نافذتهِ، احمرتْ عيناه وبدأ العرقُ  
يتصبَّبُ من جسده وفي نفسِ الوقتِ شَعَرَ بالبردِ يسري بين أضلاعِهِ بعدَ أن بلغَ نشوةَ الألمِ  
النفسِيِّ في مُخيلتهِ .

## بيدرو صانع الأمل

\*\*\*\*\*

- تَوَالَّت الطَّرَقَاتُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِهِ !!  
 فَتَحَتْ الْبَابَ مَدِيرَةُ الْمَنْزِلِ السَّيِّدَةُ بِيرْلَا ؛ لِتَلْقَى أَمَامَهَا رَجُلًا وَسِيمًا، مُتَوَسِّطُ الطُّوْلِ، كَثِيرُ  
 التَّبَسُّمِ فَهِيَ تَعْرِفُهُ جَيِّدًا ..
- أَهْلًا سَيِّدَ بَيِّرُو.
  - صَبَاحُ الْخَيْرِ بِيرْلَا ؛ جِئْتُ لِمُقَابَلَةِ نِيكُولَاس .
  - السَّيِّدُ نِيكُولَاسُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْمَنْزِلِ .
  - قَالَتْهَا وَهِيَ تَلْمِسُ أَرْنَبَةً أَنْفِهَا كَانَتْ حَرَكَةُ جَسَدِهَا كَافِيَةً ؛ لِيَفْهَمَ بَيِّرُو الطَّبِيبُ النَّفْسِيَّ بِأَنَّهَا  
 تَكْذِبُ .
  - أَيْنَ ذَهَبَ؟
  - لَا أَعْلَمُ .
  - حَسَنًا ، سَأَنْتَظِرُهُ فِي الدَّخْلِ .
  - لَا، أَقْصَدُ السَّيِّدَ مُتَغَيِّبٌ عَنِ الْمَنْزِلِ مِنْذُ يَوْمَيْنِ ، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مُتَوَاجِدًا  
 اللَّيْلَةَ.
  - قَالَتْهَا بِتَرَدُّدٍ وَاضِحٍ مُحَاوَلَةً إِخْفَاءِهَا عَنْهُ "وَجُودِ نِيكُولَاسِ فِي الْمَنْزِلِ "
  - أَبْلُغْهُ أَنِّي أَتَيْتُ لِلْإِطْمِنَانِ عَلَيْهِ ؛ أُرِيدُ التَّحَدَّثَ إِلَيْهِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ .
  - حَسَنًا سَأَبْلُغُهُ .
  - أَدَارَ ظَهْرَهُ مَعْلَنًا رَحِيلَهُ ، وَلَكِنْ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ تَوَقَّفَ ! وَرَجَعَ يُمَسِّكُ الْبَابَ قَبْلَ أَنْ  
 تَوْصِدَهُ بِيرْلَا.
  - لِمَاذَا رَجَعْتَ سَيِّدَ بَيِّرُو؟
  - مَعْذَرَةً ، أَنْهَيْتُ عَمَلِي قَبْلَ قَلِيلٍ فِي الْمُسْتَشْفَى ، وَأَشْعُرُ بِالْعَطَشِ أَحْتَاجُ كَأْسًا مِنْ  
 الْمَاءِ ؟
  - سَأَحْضِرُ الْمَاءَ حَالًا ، أَنْتَظِرْ هُنَا.
  - ابْتَسَمَ لَهَا بَيِّرُو مَعْبَرًا عَنْ اِمْتِنَانِهِ ..
  - وَ مَا أَنْ غَابَتْ عَنْ عَيْنَيْهِ مَدِيرَةُ الْمَنْزِلِ ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنَ التَّسَلُّلِ إِلَى الدَّخْلِ ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ  
 بِتَجَسُّسٍ عَنْ صَدِيقِ دِرَاسَتِهِ نِيكُولَاسِ
  - قَالَ بِفَرَحٍ حِينَ رَوَيْتِهِ:
  - نِيكُولَاسُ تَائِينَ هَا قَدْ وَجَدْتُكَ أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ.
  - مَنْ سَمَحَ لَكَ بِالدَّخُولِ؟



ردّ مقلداً صوت امرأة:

- سمعتُ دقات قلبك تتأدّيني على بُعد أمتارٍ من الباب، بيدرو.. تعال يا صديقي..  
أحتاج رؤية عينيك الجميلتين واستمتع بأحاديثك اللطيفة ، وما كان منّي إلا أن أُجبتُ  
نداءها.

لم يكنْ لدُعابات بيدرو أثراً على مُحيا نيكولاس ؛ فتعابّير وجهه ظلّت جامدةً فقد خرج للتو  
من تجربته الخياليّة ، الأليمة، اليوميّة .  
جلس بيدرو على الأريكةِ المقابلة لنيكولاس .

بيدرو القروي.. هكذا يُعرفُ في الجامعة .  
نشأ بيدرو في قريةٍ نائيةٍ تُدعى ( قشتالة ) بعدَ وفاة أبويه ، قرّر الذهابَ للمدينة وإكمال  
دراسته فيها، ورغم الأعوام الطويلة في المدينة إلا أنه مُتمسكٌ بالهبة القروية التقليدية ،  
اجتهد في دراسته ، وما أن وصلَ إلى المرحلة الجامعية أخذَ يبيعُ ملخصاتِ الدروسِ  
على الطلبة ؛ كسباً للمال ، وكانت الملخصاتُ سبباً لولادة صداقةٍ مع نيكولاس حينما  
طلب الأخير ملخصاتٍ منه ، وتجاذبا أطراف الحديث إلى أن توطدت علاقتهما فأصبحا  
أخوين قبل أن يكونا صديقين.

اقترب بيدرو من نيكولاس ، وانحنى أمامه لدرجةٍ استشعر كلُّ منهما أنفاس الآخر ،  
وضع يديه على مقبضي الكرسي المتحرك بأحكامٍ وقال بصوتٍ يعبرُ عن عمق  
مشاعره ، مثبتاً ناظره في عيني نيكولاس :  
- صديقي مثلما أخرجتُك من دائرة حزنك لوفاة زوجتك ، لن أبرح مكاني إلا وقد  
استعدت متعتك في الحياة .

و بدأ صوته يرتفع تدريجياً حين قال:

- هل ستتخلّى عن حُلمك بمجرد رفضهم لتجربتك؟، أين عزيمةك ؟

أمسك حذّي نيكولاس ثم تابع قائلاً:

فكر في عددِ المرضى الذين يحتاجون إلى علاجك،

- ألم تُخبرني بأنك لا تريد أن يشعر أحدٌ بالألمِ الفراق والحزن؟ ،

- ألم تُخبرني بأنك أسميت المصل الذي ابتكرته بمصل ' السعادة' ؟

- هل ستتخلّى عن إسعاد المرضى ؟ ستتخلّى عن هذا الأمل من أول عقبة تواجهك؟

وكان أسرع ردّ من نيكولاس حيث بادَرَ باحتضان بيدرو الذي قابله بكلماتٍ حانيةٍ طبّبتْ  
على قلبه المكسور.

- بيرلا، بيرلا

- نعم سيد بيدرو .

- كأسًا من الماء من فضلك ؟
- ليس لدينا ماء ردّ بيدرو ضاحكًا
- هذه المرة لنيكولاس ، وليس لي يا بيدرو .
- حسنًا، سأحضره.
- بعد أن رطب حلقه الجاف بالماء ، واستلقى على الأريكة الطويلة بمساعدة بيدرو ، أخذًا يتبادلان الحديث عن أيام الدراسة ، ومافيهما من مغامرات ، كان استرجاع ذكريات الماضي الجميلة فكرة متعمدة من بيدرو ؛ ليُخرج نيكولاس من كآبته .
- أتعلم يا نيكولاس، أفكرُ جدًّا بأخذ إجازة من العمل؛ وأذهب في رحلة تُبعد عني عناء العمل ومشكلات المرضى..
- وهل فكرت في المكان الذي ستقصده؟
- لا، ليس بعد، أبحث عن مكان هادي ، تُحيطني الطبيعة من كل مكان. أرى أناسًا طبيعيين .
- طبيعيين؟ قاطعه نيكولاس
- أقصد أناسًا على سجيّتهم ، أرى روح الحياة في أعينهم ، يطلبون منها الراحة النفسية فقط، وليس المال ، والسلطة ، والعمل ليل نهار.
- ستجد طلبك في القرى النائية
- \_ وجدتها يا نيكولاس، قريتي التي ولدت فيها، سأجد فيها ما طلبت، ربّما استرجع ذكريات طفولتي إذا ساعدتني ذاكرتي طبعًا.
- حسنًا، استمتع بإجازتك إذن .
- تقصد أن نستمتع بإجازتنا سوياً
- لا أريد الخروج إلى أي مكان
- هيا دعك من هذا يا نيكولاس، أنت تعلم بأنك بحاجة لتصفية ذهنك ، وتخفيف وطأة صدمتك برفضهم تجربتك.
- ردّ بغضب :
- لا تذكرني بهذا يا بيدرو.
- حسنًا، لك ما أردت، لا تغضب أردت فقط مساعدتك ، وأخذك في نزهة ترى الطبيعة ، وتتعرف على الناس الفقراء، البسطاء، الأنقياء.
- رنت آخر كلمات نطقها بيدرو في عقل نيكولاس قبل أدنيه.
- أنا موافق
- حقًا؟ هل ستذهب معي إلى القرية ؟
- نعم، ولكن بشرط ، ردّ بيدرو فرحًا بقراره
- تقصّل، كلّي أذان صاغية.

- سأثبتُ صحةَ تجربتي على أهالي القرية.

- هلْ جُننتَ ، وإذا لمْ تتجَحَّ التجربةُ ؟

ردَّ بحماسةٍ :

- ستتجَحُّ يا بيدرو ثِقْ بي، أَعْطِنِي فرصةً ، قد تحدثُ تجربتي ثورةً في عالمِ الطبِّ ،

بعدَ أنْ نقدمَ الدلائلَ والتقاريرَ للمرضى الذينَ تعالجُوا بفضلِ تجربتي ، سَيُسمَحُ لي

بممارستها في المدينة لا محالة .

- لا أدري ماذا أقولُ ؟ لا ، لا ، دعني أفكرُ

- لا وقتَ للتفكيرِ ، ستذهبُ إلى القرية قبلَ مجيئي بأسبوعٍ أو أكثرَ ، وستبحثُ لي عنْ

مبنىٍّ صغيرٍ أقيمُ فيه تجاربي، وسنُعْطِي عليه بأنْ نقنعَ أهلَ القرية بأنها عيادةٌ نفسيةٌ

كشبيهايتها من العياداتِ .

إذنْ هذه المغامرةُ ستُعِيدُ لي صديقي العبقريَّ إلى طبيعته ، سأفعلُ ما تأمرني به .

- أنتَ أفضلُ صديقٍ يا بيدرو، أريدُ أنْ أطلبَ منك شيئاً آخرَ .

- ماذا أيضاً ؟ هلْ توجدُ طريقةٌ غيرَ شرعيةٍ غيرها لتسترجعَ سعادتكِ .

- عَدْنِي بالألَّا يعلمَ أحدٌ بهذا السرِّ من أهلِ القرية .

هَزَّ بيدرو رأسه بالموافقة بدونِ ترددٍ .

## ٤ الاقتراب من الهدف

\*\*\*\*\*

هَاهُو نيكولاس مشغولُ الذهنِ ! يُخاطبُ نفسه متى سيأتي الردُّ منك يا بيدرُو اللعين ؟ فأنَّا لا أطيقُ أن اصبرَ أكثرَ من ذلكَ ، لا بدَّ أنكَ نسيتَ أمرنا ، وإنِّي لا أشكُ أنكَ تتسكعُ في قريتكِ ، مستخفاً بدمك وأحاديثك السخيفة ، فإنِّي لا أراكِ تمارحُ ذاكَ وتثرثرُ مع آخرٍ ، متناسياً ما أرسلتكَ لأجله ..

بينما كانَ نيكولاسُ مُنشغلاً بحديثِ نفسه عاقداً حاجبيه كازاً على شفتيه ، وهوَّ يُجوبُ غرقتهُ ذهاباً وإياباً دونَ مللٍ .  
طرقَ البابُ ،  
نادى نيكولاسُ :

- من الطارقُ ؟ بنبرةٍ عاليةٍ متضجرةٍ .  
- أنا ساعي البريد .  
فتحَ نيكولاسُ البابَ ..  
فمدَّ ساعي البريدِ جواباً  
- هذه الرسالة من أهلك سيدي  
أخذَ نيكولاسُ الجوابَ ووقعت عيناه على ختم قرية " قشتالة " .  
ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ أخفاها ، وأخفضَ من نبرة صوتِهِ ؛ ليشكرَ ساعي البريدِ ،  
وأغلقَ بابَهُ .  
وأسرَعَ متأهباً ؛ ليقرأ الرسالةَ مردداً ،  
- أتمنى أن تُخيِّبَ ظنِّي لمرةٍ واحدةٍ يا صديقي ، وتكونَ فعلتَ ما أمرتكَ ..

فتحَ الرسالةَ وكانَ نصُّها :  
عِمتَ مساءً يا نيكولاشتاين ..... (ضحكاتٌ ممتدةٌ) تعلمُ أنكَ تُذكرُني يا صديقي بالعالمِ  
أنيشتاينِ فإنَّكَ تُشبهُهُ في عبقرِيتهِ .  
ضحكُ نيكولاسِ ضحكةً صفراءَ قاصداً فيها يالكَ من أُخرقٍ يابيدرو ،  
و أكملَ القراءةَ :

ليتكَ ترى جمالَ قريتنا وطقسها النقيِّ ، تشعُرُ بأنَّ صدركَ يتنفّسُ الصُّعداءَ بهدوءٍ ، فدخانُ  
المدِينةِ جعلَ صدورنا تُصدِرُ موسيقىً عندَ تنفُّسنا .....

وأهلُ قريتي كأنِّي تركتهم قبلَ يومين ، لم يتغيَّرَ فيهم شيءٌ سوى أنَّ الشيبَ زادَ في  
رؤوسِهِم ، فما زالوا يتسمون بالطيبة ، فهم على عكسِ المدنيين المتفاخرين بأنفسِهِم  
، وليتكَ كنتَ معي يا صديقي عندما انطَرَقَ قلبي لرؤية أصدقاء طفولتي ، ولكنَّ عهدي لك  
منعني أن أقترِبَ منهم . أعلمُ أنكَ الآن ترسل عليَّ وابلًا من سخطاتِكَ ، وتنعَتني بالغبي

كعادتك ولكن ستُغيرُ رأيك حالما أُرسلُ مَكْتُوبِي هذا لك ، وأُخبرك بِذَكَاءِ صَدِيقِكَ ؛ فَقَدْ  
فعلتُ كل مايتوجبُ فعله منذُ وَطأتُ قَدَمَيِ القَرِيَةِ ، وعثرتُ لك على مَسْكَنٍ في دارِ سَيِّدَةٍ  
تُدعى "مارسيلا سيمون" حيثُ يجتمعُ عندها نِزَلاءُ القَرِيَةِ ؛ فَهِيَ سَيِّدَةٌ في بَدَايَةِ الخَمْسِينَ  
من عَمْرِهَا ، وَلَكِنَّهَا مُتَمَاسِكَةُ القَوَامِ حَكِيمَةُ المَنْطِقِ ، لا تَجْهَلُ أَمْرًا لِذَلِكَ أَرَى فِيهَا مَنفَعَةً  
لَكَ ؛ سَتَسَاعِدُكَ بِالعُثُورِ على عِيَادَةٍ لِأَجْلِ مَشْرُوعِنَا ، سَارِعُ بِالْقُدُومِ يَا صَدِيقِي مَا إِنَّ  
تَسْتَلِمَ جَوَابِي ، ولا تَنْسَى عَنَوَانَ النُّزْلِ..دار "مارسيلا سيمون" مقاطعة "قشتالة لا  
مَنْشَا"  
مع تَحِيَّاتِي..

بِيدِرُو سِيَّاسَتِيَّان .التوقيع .  
أغلق الرسالة وقلبه يتراقص فرحًا من الداخل ولولا رزانة طبيعه ؛ لَفَقَزَ مِنَ السَّعَادَةِ .

هَمَّ يُجَهِّزُ حَقَائِبَهُ ؛ استعدادًا لِلسَّفَرِ وَهُوَ يُتِمِّمُ لِنَفْسِهِ :أخيرًا يا نيكولاس قد اقتربت من  
هَدْفِكَ ، وسَيلَمُعُ اسْمُكَ قَرِيبًا .  
أُخْرِجَ حَقِيبَتَهُ البُنْيَّةَ ذاتِ الأَحْزِمَةِ القَمْحِيَةِ ، رَتَّبَ مَلَابِسَهُ الأَنْيَقَةَ بِدَاخِلِهَا قَانَلًا :  
لأُبَدَّ أَنْ أُرْتَدِيَ الأَنْيَقَ مِنْ مَلَابِسِي ، وَأَنْ أَكُونَ طَبِيبًا يَعْتَنِي بِهِنْدَامِهِ ، أَهْ كِدْتُ أَنْسَى  
وَضَرَبَ جَبِينَهُ ، حَقِيبَتِي اليَدَوِيَّةَ سَأَتَأْكُدُ بَأَنْ أَضَعُ بِدَاخِلِهَا سِرِّي الثَّمِينِ .  
بَعْدَ أَنْ جَهَّزَ عُدَّتَهُ ، وَكَانَ الوقتُ في أوائلِ المِساءِ كَانَ الجَوُّ لَطِيفًا ، وَكَأَنَّهُ يُشَارِكُ  
نيكولاس مَزَاجَهُ العَالِي .  
وَقَبْلَ خُرُوجِهِ وَدَّعَ بَيْرَ لَا مُدِيرَةَ المَنْزَلِ .  
قَالَتْ لَهُ :

- متى سترجع من رحلتك يا سيدي ؟  
صَمَتَ قَلِيلًا ثُمَّ أَرْدَفَ لَهَا  
- يُحْتَمَلُ أَلَّا أَرْجِعَ وَإِذَا رَجَعْتُ سَيَكُونُ مِنْ أَجْلِ " " تَذَكَّرَ لُونَا لَا أَكْثَرَ وَعَيْنَاهُ  
تَرَقَّرَتِ مِنَ الحُزَنِ  
- حَسَنًا أَنَا أَنَا لَا أَدْرِي أَيْنَ أَذْهَبُ وَنَبْرَتُهَا حَائِرَةٌ ؟  
قَاطَعَهَا قَانَلًا :

- لَنْ تُغَادِرِي المَنْزَلَ أَنْتِ جُزْءٌ مِنْهُ يَا بَيْرَ لَا .  
- شُكْرًا جَزِيلًا يَا سَيِّدِي وَالفَرَحَةُ تَغْمُرُهَا .  
مَشَى بِخُطَا سَرِيعَةٍ وَهُوَ يَرْدُدُ :  
- دَارُ مَارَسِيلا مُقَاطَعَةُ قِشْتَالَةَ ..دارُ مَارَسِيلا مُقَاطَعَةُ قِشْتَالَةَ ...  
إِلَى أَنْ وَصَلَ لِمَوَاقِفِ العَرَبَاتِ مُتَتَبِعًا أَصَوَاتِ السَّائِقِينَ مَوَكَّلًا إِنْتِبَاهَهُ كُلَّهُ حَتَّى يَسْمَعَ مِنْ  
يُنَادِي لِقَرِيَةِ قِشْتَالَةَ ..  
وَأخيرًا ألقى سمعه على أحدهم ، وَهُوَ يُنَادِي قَرِيَةَ قِشْتَالَةَ قَرِيَةَ قِشْتَالَةَ  
اقْتَرَبَ مِنْهُ حَامِلًا حَقَائِبَهُ  
نيكولاس لسائقِ العَرَبَةِ

- أَنَا أَقْصِدُ رَحْلَتَكَ

رَحَّبَ بِهِ السَّائِقُ

- تَفْضَّلُ يَا سَيِّدِي

وَأَخَذَ مِنْهُ الْحَقَائِبَ ، وَوَضَعَهَا فِي خَلْفِيَةِ الْعَرَبَةِ .

صَعَدَ نِيكُولَاسُ وَاتَّخَذَ مَقْعَدَهُ بَجَانِبِ النَّافِذَةِ وَخَيَالَهُ شَارِدٌ بِانْجَازَاتِهِ الْعَظِيمَةِ .

ضَرَبَ الْقَائِدُ الْفَرَسَ بِسَوْطِهِ لِيَجْرَّ الْعَرَبَةَ بِاتِّجَاهِ الْقَرْيَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ تَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةِ فَرَاسِيخَ ، كَانِ الْوَقْتُ الْمَقْدَّرُ لَوُصُولِهِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ .

رَاقِبَ نِيكُولَاسُ الْمَنْظَرَ بِصَمْتٍ كَانَ مُنْشَرَحَ الْخَاطِرِ ، خَاطَبَ نَفْسَهُ طَوَالَ الْوَقْتِ - يَا جَمَالَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمَحَاطِّ بِالْمَزَارِعِ ، وَإِنِّي لِأَنْعَمَ بِشَمِّ عَبِيرِ الثَّمَارِ الْمُتَرَاقِصَةِ فِي الْأَجْوَاءِ ، وَأَتَوَقَّعُ لِرُؤْيَا أَصْحَابِهَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَدَى أَهْمِيَّتِهِمْ عِنْدِي ، وَقَطَعَ السَّائِقُ حَدِيثَهُ ،

- أَيْنَ تَرِيدُ الْوُقُوفَ يَا سَيِّدِي قَدْ اقْتَرَبْنَا مِنَ الْقَرْيَةِ ؟

اقْتَرَبَ نِيكُولَاسُ بِجَسَدِهِ نَحْوَ الْمَقْعَدِ ؛ لِيَدْنُوَ بِرَأْسِهِ مِنَ النَّافِذَةِ ؛ لِيُخَاطَبَ السَّائِقَ

- أَرِيدُ الذَّهَابَ " لِمَقَاطِعَةِ قِشْتَالَةِ لَا مِنتِشَا " فِي نُزُلِ " مَارَسِيلا سِيْمُون "

- نَعَمْ يَا سَيِّدِي أَدُلُّ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَهُوَ نُزُلٌ يَرْتَادُهُ أَعْيَانُ الْقَوْمِ وَسَيِّدَتُهُ لَا تَقْلُ عَنْ مَرَاتِدِيهَا رُقْيَا .

جَاءَ فِي خَاطِرِ نِيكُولَاسِ مَكْتُوبٌ بِيَدْرُو ، وَتَمَّتْ لِنَفْسِهِ

- أَحْسَنْتَ صَنْعًا يَا صَدِيقِي لِأَنْدَ أَنْ الْقَرْيَةَ وَالْجَنُونَ زَادَاكَ ذِكَاءً .

- هَلْ تَخَاطِبُنِي يَا سَيِّدِي ؟

لَا لَا أَفْكُرُ بِصَوْتٍ عَالٍ ، أَكْمِلُ الطَّرِيقَ أَرِيدُ الْوُصُولَ بِأَسْرَعَ وَقْتٍ ،

وَأَلْقَى بِجَسَدِهِ عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبَةِ ، وَبَادَرَ بِهَزِّ قَدَمَيْهِ مُعْبِرًا بِذَلِكَ عَلَى تَوَتُّرِهِ .

اهْتَزَّتِ الْعَرَبَةُ ، وَصَهَّلَ الْخَيْلُ ، وَتَوَقَّفَتْ ، وَارْتَطَمَ رَأْسُهُ بِالنَّافِذَةِ ، وَمَالَتْ قَبْعَتُهُ .  
نَادَى السَّائِقُ :

- سَيِّدِي هَا قَدْ وَصَلْنَا ، حَمْدًا لِلرَّبِّ عَلَى سَلَامَتِنَا .

تَرَجَّلَ نِيكُولَاسُ مِنَ الْعَرَبَةِ ، وَأَخَذَ يُقِيمُ مِيلَانَ ثِيَابِهِ ، وَيُعَدِّلُ قَبْعَتَهُ السُّودَاءَ الْمُحَاطَّةَ مِنْ أَطْرَافِهَا بِشَرَائِطٍ مِنَ السَّتَانِ .

رَفَعَ رَأْسَهُ يَنْظُرُ إِلَى فَخَامَةِ بِنَاءِ السَّيِّدَةِ مَارَسِيلا .

اسْتَقْبَلَهُ الْخَادِمُ عَارِضًا عَلَيْهِ خَدَمَاتِهِ بِكُلِّ خُضُوعٍ ،

- أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ يَا سَيِّدِي ، خَادِمُكَ أَنْخِيلُ .

تَفَضَّلْ فِي صَالَةِ الضُّيُوفِ ؛ حَتَّى تَلْتَقِيَ بِالسَّيِّدَةِ مَارَسِيلا

أَعْجَبَ نِيكُولَاسُ بِحَفَاوَةِ التَّرْجِيْبِ بِهِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى السَّيِّدَةِ مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ ، مُقْبِلًا عَلَيْهَا

بِالسَّلَامِ مَادًّا يَدَيْهِ ، لَقَدْ أَثَارَ هَذَا الْمَكَانَ فِي نَفْسِهِ الْعِزَّةَ وَالْعُلُوَّ ، وَبَاتَ يَمْشِي مُتَّزِنَ الْخُطَا ،

جَاعِلًا فِكْرَةَ أَنْ يَدْعَ فِي نَفْسِهَا انْطِبَاعًا أَوْ لَا مُشْرِفًا لَهُ ، وَإِذَا بِضَجِيحٍ مُدَوٍّ قَاطِعٍ تَخِيلُهُ ،

وَسَمِعَ أَصْوَاتًا عَالِيَةً ، وَكَانَ هُنَاكَ شَابَانٌ فِي مُقْتَبَلِ الْعُمْرِ يَقْفَانِ أَمَامَ سَيِّدَةٍ وَيَتَبَادَلَانِ الشَّتَائِمَ ،

جَلَسَ نِيكُولَاسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَاضْعًا قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ ، مُتَوَسِّدًا قُبْعَتَهُ عَلَى فَخْذَيْهِ يُرَاقِبُ الْمَنْظَرَ عَنْ بُعْدٍ .

أَمْضَى بَرْهَةً يَنْتَظِرُ ، وَارْدَفَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ :

- يَبْدُو أَنَّ الْقَرْيَةَ مَلِيئَةٌ بِالْعَقْلِيَّاتِ الْمُتَعَطِّشَةِ لِتَجَارُبِي !

انصَرَفَ الشَّابَانُ .

أَقْبَلَتْ سَيِّدَةٌ مَمْشُوقَةٌ ، طَوِيلَةُ الْقَامَةِ ، شَعْرُهَا الَّذِي لَا يُرَى مِنْهُ سِوَى الْبَيَاضِ ، مَلْفُوفًا فِي أَعْلَى رَأْسِهَا ، أَغْرَسَتْ بِدَاخِلِهِ الدَّبَابِيْسَ الذَّهَبِيَّةَ ، كَبُرَ سِنُّهَا يَظْهَرُ فِي عُرُوقِ يَدَيْهَا الْبَارِزَةِ ، انْحَنَتْ أَمَامَهُ مُمَسِّكَةً بِثَوْبِهَا الْمُخْمَلِيِّ كَأَمِيرَاتِ الْأَسَاطِيرِ .

- مَرْحَبًا بِكَ يَا سَيِّدٍ ...

أَسْرَعَ بِالتَّعْرِيفِ عَنْ نَفْسِهِ :

- الطَّبِيبُ نِيكُولَاسُ خُوسِيَه .

- تَشَرَّفْتُ بِلِقَائِكَ أَيُّهَا الطَّبِيبُ ، أَعْتَذِرُ لَكَ عَمَّا حَدَثَ قَبْلَ قَلِيلٍ .

- لَا بَأْسَ يَبْدُو أَنَّهُمْ يَفْتَقِرُونَ إِلَيَّ الْأَدَبِ

- نَعَمْ ، هُوَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا تَشْغَلْ بِأَلَاكَ فِي أَمْرِهِمْ .

تَقَضَّلَ مَعِيَ فِي غُرْفَةِ الضُّيُوفِ ، لِنُكْمِلَ تَعَارُفَنَا يَا أَيُّهَا الطَّبِيبُ نِيكُولَاسُ ،

تَبِعَهَا وَهُوَ يَسْتَرْقُ النَّظَرَ لِطِرَازِ الْفُنْدُقِ ، وَلَوْحَاتِهِ التَّارِيخِيَّةِ ، وَأَثَانِهِ الْمُشَبَّعِ

بِالنُّقُوشِ ؛ فَقَدْ كَانَ سَقْفُهُ عَالِيًا ، مُجَوَّفًا رُسِمَ بِالْخُطُوطِ الْمُلوَّنةِ ، وَكَانَتْ الزُّهُورُ فِي

كُلِّ زَاوِيَةٍ تُضْفِي عَلَى الْمَكَانِ نَوْعًا مِنَ الْإِنْتِعَاشِ .

- تَقَضَّلْ أَيُّهَا الطَّبِيبُ ، أَرْجُو مِنْكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ ، أَتُحِبُّ أَنْ تَشْرَبَ عَصِيرَ الْبُرْتَقَالِ ،

أَوْ تَقَضَّلَ كُوبًا مِنَ الْقَهْوَةِ ؟

- قَهْوَةٌ مِنْ فَضْلِكَ .

- أَنْخِيلُ صُغْ حَقَائِبَ الطَّبِيبِ هُنَا ، وَاجْلِبْ لَنَا كُوبَيْنِ مِنَ الْقَهْوَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ السُّكَّرِ .

نَظَرَتْ لَهُ بِطَرَفِهَا قَائِلَةً :

- أَتَمْنَى أَنِّي أَصَبْتُ التَّخْمِينَ بِأَنَّكَ تُفَضِّلُهَا سَادَةً ؛ فَأَغْلِبُ الْأَطِبَاءَ يَهْتَمُّونَ بِنَمَطِ غِذَائِي

صَحِيٍّ .

- نَعَمْ ، قَدْ أَصَبْتَ يَا سَيِّدَتِي .

جَلَسَتْ مُقَابِلَةً لَهُ ،

- لَمْ تُخْبِرْنِي أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَطِبَاءِ أَنْتَ ؟

- طَبِيبٌ نَفْسِي .

- حَقًّا ! قَالَتْ ذَلِكَ وَارْتَفَعَ حَاجِبُهَا - إِنَّ لِي مَعَ أَطِبَاءِ النَّفْسِ قِصَّةَ - وَ أُوْمِنُ جِدًّا بِمَا

يَفْعَلُونَ .

- ظَنَنْتُ أَنْكُمْ هُنَا فِي الْقَرْيَةِ لَا تَفْقَهُونَ لِهَذَا الْعِلْمِ .  
 - نَعَمْ ، هُنَا أَغْلِبُهُمْ أُمِّيُونَ ، وَلَكِنْ أَنَا أَخَالِفُهُمْ ، وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أُشْرَحَ لَكَ الْأَمْرَ .  
 إِنَّهُ لَيَسْعِدُنِي ذَلِكَ .  
 نَهَضْتُ مِنَ الْكُرْسِيِّ ، وَاتَّجَهْتُ نَحْوَ الْمَدْفَأَةِ ، وَأَمْسَكْتُ بِإِطَارِ إِحْدَى الصُّوَرِ ، وَأَخَذْتُ  
 تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِحُزْنٍ حَاولْتُ إِخْفَاءَهُ ، أَشَارَتْ بِالصُّورَةِ إِلَى نِيكُولَاسِ  
 - هَذَا زَوْجِي السَّيِّدِ "مَارِيُو سِيْمُون" تُوفِّي قَبْلَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ؛ لَقَدْ عَانَى ...  
 طُرُقَ الْبَابِ  
 - تَفَضَّلَا الْقَهْوَةَ ، وَضَعَهَا أَنْخِيلَ عَلَى الطَّاولَةِ ، وَقَدْ انْتَشَرَ عَبَقُ رَائِحَتِهَا .  
 نِيكُولَاسُ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ:  
 - لَقَدْ جَاءَتْ فِي وَقْتِهَا .  
 السَّيِّدَةُ مَارَسِيلا لَمْ تَأْخُذْ كُوبَ قَهْوَتِهَا ؛ فَمَا زَالَتْ تَأْسِرُ أَنْظَارَهَا صُورَةَ زَوْجِهَا ، تَتَهَدَّتُ  
 تَنْهِيْدَةً عَمِيْقَةً ، وَأَكْمَلَتْ حَدِيثَهَا .  
 - لَقَدْ عَانَى مِنَ الْإِكْتِيَابِ الشَّدِيدِ ، لَمْ يَكُنْ هَكَذَا ، فَقَدْ أُغْرِمْتُ بِهِ لِحَيَوِيَّتِهِ وَرَحَابَةَ رُوحِهِ  
 ؛ فَقَدْ كَانَ رَسَّامًا مَاهِرًا ، أَشَارَتْ إِلَى إِحْدَى اللُّوْحَاتِ الْكَبِيرَةِ الْمُعْلَقَةِ ،  
 - أَنْظُرْ أَيُّهَا الطَّبِيبُ ، كُلُّ اللُّوْحَاتِ هُنَا هُوَ مِنْ رَسْمِهَا ، وَمَا زَالَتْ رَائِحَتُهُ مُتَعَلِّقَةً بِهَا  
 ، أَنْظُرْ إِلَى أَلْوَانِهَا الزَّاهِيَةِ ، لَقَدْ رَسَمَهَا وَهُوَ يَرْقُصُ ، وَيُحِبُّ الْحَيَاةَ .  
 صَمَتَتْ لِثَوَانٍ ؛ مُرْتَشِفَةً لِعَابِهَا ، حَابِسَةً دَمُوعَهَا ، أَمَّا لَوْحَتُهُ الْأَخِيرَةُ ، كَانَتْ هِيَ النَّهَايَةُ .  
 نِيكُولَاسُ صَامِتًا ، مُعِيرُهَا كُلَّ انْتِبَاهِهِ ؛ فَهَذَا هُوَ الطَّبِيبُ النَّفْسِيُّ ، قَلِيلُ الْكَلَامِ ، كَثِيرُ الْإِنْتِبَاهِ  
 .  
 لَقَدْ زُرْتُ عَشْرَاتِ الْأَطْبَاءِ النَّفْسِيِّينَ لِمُسَاعَدَتِهِ ، كَانَ صَوْتُهَا مُتَقَطِّعًا  
 كَانَتْ آخِرُ لَوْحَاتِهِ تَحْكِي مُعَانَاتِهِ ، وَ أَنْهَمَر دَمْعُهَا ، وَبَاعَتْ مُحَاوَلَاتُهَا إِخْفَاءَ حُزْنِهَا بِالْفَسْلِ  
 .  
 ارْتَبَسَ الْفُضُولُ عَلَى وَجْهِ نِيكُولَاسِ  
 لَا بَأْسَ يَا سَيِّدَتِي إِشْرَبِي قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ ، وَهَدْنِي مِنْ رَوْعِكَ  
 وَأَكْمَلْتُ :  
 - كَانَتْ لَوْحَتُهُ مُلَطَّخَةً بِدِمَاءٍ وَرِيدِهِ الَّذِي قَطَعَهُ انْتِحَارًا ، وَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ لِي بِكُلِّ  
 أَمْلَاكِهِ ؛ فَهَذَا النُّزْلُ وَرِثَتُهُ مِنْهُ ، وَبَعْضُ الْمَبَانِي الْمُجَاوِرَةِ لِمَزَارِعِ الْبُرْتُقَالِ ..  
 قَاطَعَهَا نِيكُولَاسُ  
 - أَنَا ، جِئْتُ إِلَى هُنَا بَاحِثًا عَنْ مَكَانٍ لِأُقِيمَ فِيهِ عِيَادَتِي الْخَاصَّةَ ، وَلَعَلِّي أَجِدُ عِنْدَكَ  
 مَطْلَبِي .  
 - عُدْرًا ، لَقَدْ صَدَّعْتُ رَأْسَكَ بِهُمُومِي .  
 بِدَاخِلِهِ وَأَسْرَفَتْ أَيْضًا !  
 مَاذَا



- أَقْصِدْ لَعَلَّ تِلْكَ صُدْفَةٌ حَتَّى تُخْبِرْنِي بِالْجُزْءِ الْمُهْمِ فِيمَا وَرَثْتَ عَنْ زَوْجِكَ ، وَأَنَا بِحَاجَةٍ لِمُسَاعَدَتِكَ سَيِّدَتِي ؛ فَلَيْسَ لِي أَحَدٌ أَعْرِفُهُ هُنَا !  
حَسَنًا ، صَبَاحًا سَأَرَأَيْكَ دَارًا قَدْ تُتَاسَبِكُ ، الْآنَ سَأَمُرُ "أَنْخِيلَ" أَنْ يُعِدَّ لَكَ غُرْفَةً لِنَتَّامَ فِيهَا ، وَتَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ .  
- حَقًّا سَيِّدَتِي فَإِنِّي مُتَهَالِكٌ مِنَ التَّعَبِ .  
جَرَّ خُطَاهُ بِسُرْعَةٍ لَعَلَّهُ يُنْقِذُ مَا تَبَقِيَ مِنْهُ مِنْ ثَرْتَرَةِ هَذِهِ الْأَرْمَلَةِ .

اصْطَحَبَهُ "أَنْخِيلُ" وَوَضَعَ حَقَائِبَهُ فِي الدَّارِ الْمَجْهُزَةِ .  
فَتَحَ نِيكُولَاسُ الشَّرْفَةَ لِيَسْتَنْشِقَ الْهَوَاءَ النَّقِيَّ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِبَدْرِهِ بِأَمْرِهِ سَلَفًا ،  
وَبَعْدَهَا اسْتَلْقَى عَلَى الْأَرِيكِةِ مُتَنَاسِيًا نَفْسَهُ مِنْ فَرْطِ الْإِرْهَاقِ ، وَخَانَتْهُ عَيْنَاهُ فَعُطِّتْ فِي النَّوْمِ .

وَهُنَاكَ فِي الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ بِدَاخِلِ غُرْفَةِ الضُّيُوفِ ، أَقْبَلَتْ زَوْجَةُ الْخَادِمِ أَنْخِيلَ لِلْسَيِّدَةِ مَارْسِيلا

- مَا أَنْقَ هَذَا الطَّبِيبُ الَّذِي نَزَلَ فِي دَارِنَا الْيَوْمَ ؟!  
- أَلَمْ أُحْذِرْكَ يَا لُوسِيَا مِنَ التَّصَنُّتِ خَلْفَ الْأَبْوَابِ .  
- لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ يَا سَيِّدَتِي أَنْخِيلُ هُوَ مَنْ أَخْبَرَنِي بِشَأْنِ الطَّبِيبِ وَاصِفًا لِي رُقِي لِيَاسِهِ الْأَنْيَقِ ؛ فَقَدْ ظَهَرَتْ طَيَّاتُ الْكَيِّ عَلَى بَنْطَالِهِ ، وَسَاعَتِهِ الْمُعْلَقَةُ بِسِلْسَالٍ ذَهَبِيٍّ عَلَى مِعْطَفِهِ ؛ ذَلِكَ مَادَّلَ عَلَى نَبْلِهِ .  
- هَذَا حَالُ نَزْلِنَا لَا يَرْتَادُهُ إِلَّا أَعْيَانُ الْقَوْمِ .  
- هَيَّا كُفِي يَا لُوسِيَا عَنِ التَّنَمُّ فِي شَأْنِ النَّاسِ ، وَأَعِدِّي لِي مَرْقَدِي ، وَأُخْبِرِي أَنْخِيلَ أَنْ يُجَهِّزَ الْعَرَبَةَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ؛ حَتَّى نَصْطَحِبَ الطَّبِيبَ فِي دَارِي الَّتِي نَتَوَسَّطُ مَزَارِعَ الْقَرْيَةِ .

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مُحْتَضِنَةً أَشْعَثُهَا أَرْضَ الْقَرْيَةِ ،  
وَقَدْ اسْتَيْقَظَ نِيكُولَاسٌ وَحَسَّنَ هِنْدَامَهُ ، وَدَنَا لِلْأَسْفَلِ ، وَلَمْ يَنْسَ حَقِيبَتَهُ الْيَدَوِيَّةَ ،  
وَيَجِدُ لُوسِيَا أُمَامَهُ تَدْعُوهُ لِتَتَاوَلَ الْإِفْطَارَ .  
- السَيِّدَةُ مَارْسِيلا بِانْتِظَارِكَ أَيُّهَا الطَّبِيبُ فِي غُرْفَةِ الطَّعَامِ ...  
أَلْقَى التَّحِيَّةَ عَلَى السَيِّدَةِ ، وَجَلَسَ عَلَى الطَّائِلَةِ ...  
- أَتَمَنَّى أَنَّكَ قَدْ تَنَعَّمْتَ بِنَوْمِكَ أَيُّهَا الطَّبِيبُ نِيكُولَاسُ  
- جِدًّا حَتَّى أَنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِجَسَدِي إِلَى أَنْ دَاهَمَ ضَوْءُ الشَّمْسِ مُقْلَتِي  
- حَمْدًا لِلرَّبِّ ، هَيَّا تَتَاوَلَ طَعَامَكَ حَتَّى نَذْهَبَ لِلْمَكَانِ الَّذِي أَخْبَرْتَنِي  
كَأَنَّتِ رَائِحَةُ مَخْفُوقِ الْبَيْضِ تَسْتَنْثِيرُ شَهِيَّةَ نِيكُولَاسِ ، وَوَعَاءُ عَصِيرِ الْبُرْتَقَالِ الطَّازِجِ ؛  
يَتَوَقَّ لَهُ فَاهُهُ لِيَتَذَوَّقَهُ ، فَتَتَاوَلَ الطَّعَامَ ، وَاسْتَعَدَّ لِلذَّهَابِ ،

تَرَجَّلَا الْعَرَبَةَ ...

وبدأت مَارَسِيلا تُسْرِفُ في ثَرَثَرَتِها  
حتى أَوْجَسَ نِيكُولاس في نفسه

- مابال هذه الأرملة لا تتقن السكوت ؟!
- إنَّ داري التي ورثتها من زوجي وضعت كفها على قلبها - تقطراً ، وأكملت :
- إنه أجمل ما ورثته يقع في وسط البساتين ؛ أظن أن ذلك سيكون مفيداً لمرضاك ،  
ففيه شرفة تطل على الأشجار البانعة ، وبه ديوان كبير يتسع لأكثر من خمسين  
رهطاً ، و تنفلق منه بوابة خشبية من دفتين تعبّر من خلالها لغرفة ذي مساحة  
واسعة تتوسطها الشرفة المنفلجة ، وهي تليق بك كطبيب .
- أوماً برأسه الذي انتفخ من هذيانها !!
- آه قد نسيت ، وهناك من الخلف سلم حشبي يرتقي إلى غرفة بمنافعها ؛ لتسكن فيها وتكون  
في متناول مرضاك في أي وقت .

نادى أنخيل

- لقد وصلنا يا سيديتي
- استقلاً العربية ، وداعبت وجه نيكولاس نسائم الهواء طيبت له نفسه ممّا عانى منه في  
الطريق ، وأخذ يتأمل الفضاء المبهّر ، وأدار ظهره مُبهرّاً بمنظر البُنْيَانِ المتمسك بالقديم  
الفاخر ، له أعمدة نقش فيها الرسم الأموي ، وتعلوه تقويسة كصرح الملوك ، وتلاحمت  
الحجارة المصفوفة ، لتقيم جذران البناء ، ومسكات المعدن الذهبي تتوج قبضات الأبواب  
أثار المكان في نفس نيكولاس الطمأنينة ، ووجد فيه مخدعه الذي سيقم فيه تجاربه الغير  
مشروعة .
- قال نيكولاس :
- يا لجمال هذه الدار ياسيدة مَارَسِيلا ، حان الوقت لننقق بشأن أجره الدار .
- أجابته :
- لا بأس الآن سأذهب لاستقبال الضيوف في داري ، وانصرفت على عجلة .
- بعد ماودعها ..

- أخذ نيكولاس يجوب داره ، ويتأملها ، وفي كل زاوية يتخيل مشهد نجاحه وإذا ؛ بالباب  
يُطرق بخفة يكاد أن يسمعها ..
- فتح الباب وإذا به يرى بيدرو !!
- ماذا جاء بك هنا قالها بغضب :
  - لقد اشتقت لك يا صديقي ، وأخذت أتلسل بهدوء دون أن يراني أحد لاطمين عليك
  - أنا بخير ، قالها وهو يلتفت هنا وهنا ، ولقد راقى لي القرية
  - نعم ، فهي الأنسب لك حتى تقوم بإجراء تجاربك بكل أمان
  - هز نيكولاس رأسه وقال بصوت خافت :
  - هيا هيا اذهب - وهو يؤشر بيديه - سنلتقي في وقت لاحق .

- حسنًا حسنًا ، أُرْدَفَ بها يَبْدُرُو وهو يسحبُ خُطَاهُ إلى الوراءِ ، وَودَّعَ صديقَه ،
- إلى اللقاءِ

أغلقَ نيكولاس البابَ، وقد تَحَامَلَ عليه التعبُ ، وكانَ اللَّيْلُ قدْ أَسْدَلَ ظِلَامَهُ ، وإذا به يصعدُ  
مُخْدَعَهُ كي ينامَ ، فجأةً رَجَفَ قلبُه بغتَةً ممَّا غابَ عن بالِه ، ونَسِيَ شيئاً ما كانَ يتوجَّبُ  
عليه نسيانُهُ...

## ٥ الْمَسَّةُ السَّحْرِيَّةُ

\*\*\*\*\*

خرج نيكولاس من غرفته بعد أن لیس بذلته مُتخلّياً عن ربطة عنقه ؛ لأنه ذاهب إلى سوق القرية حتّى فنجان القهوة لم يتناولهُ في غرفته ، بل فضّل أن يشربهُ في السوق ، مشى على رجله يحمل في يده مظلة شمسية ؛ لأنّ الجوّ يُنبئُ بهطول الأمطار - وهذا ما تنبّئ به القرية في هذه الفترة من السنة -

وصل إلى سوق القرية في تمام الساعة السابعة صباحاً ، وحينما وصل إلى أطراف السوق لفت انتباهه مقهى بأحجاره البنية المتباينة الألوان ، وحتّى الأشكال بعشوائيتها تعطي بهجة للعين مع قطرات الندى التي تتساقط على الطاولات الخشبية ، والمقاعد الحجرية المثبتة على جانبي المقهى من جهة اليمين والشمال ، وحتّى أرضية المقهى من الحجر الطبيعي الخشن الذي تسير عليه بكلّ اطمئنان ، لا تخشى السقوط أو الإنزلاق بسبب ماء المطر الذي تسلّل إلى أرض المقهى من خلال سقفه ، وتخلّل ذلك سقوط أشعة الشمس مع تموجها تُعطي منظرًا خلابًا للرأي .

دخل المقهى ، وجد المكان مكتظًا بالزوّار عن يمينه وشماله ، كبار في السنّ بين نساء ورجالٍ منهم من يتكئ على عصاه الخشبية العتيقة ، ومنهم من يحمل رجله بجهد ومشقة ، وآخر يجلس على كرسيّ مدوّلب .

دخل نيكولاس المقهى ، وألقى التحية وكانت الأمطار قد بدأت تهطل بغزارة ، لم يجد طاولة خالية ليجلس ويشرب قهوته ، ويتدفأ من برودة الجوّ ، وجد في زاوية المقهى مدفأة من الحجر الطبيعيّ أشعلت فيها الأخشاب ، وأنعمت على الموجودين بالدفء .  
دعاه أحد الموجودين إلى الجلوس

رحّب نيكولاس بالفكرة - وبينه وبين نفسه كنت أنتظر هذه اللحظة منذُ وصولي -

- جلس وعرف بنفسه

- أنا نيكولاس خوسيه

- وأنا كارلوس

وقد ظهرت على وجهه تجاعيد الحياة ، ومياه بيضاء غطت إحدى عينيه البنية اللون ، وحتى كلامه كان أغلبه غير مفهوم في مجمله ؛ نظرًا لتقدمه في السن .

- أخذا يتجاذبان أطراف الحوار
- أشكرك لدعوتك لي بتناول القهوة معك
  - في هذا الوقت يزدحم المقهى بالزوار
  - أظن أنك قريب لأحدهم من أبناء القرية ؟
  - لا لا لست كذلك
  - هزّ العجوز رأسه ،
  - أعتذر ظننتك كذلك -
  - لا بأس سيدي ، حدث خير
  - منذ متى وأنت في القرية ؟
  - منذ فترة بسيطة قرابة أسبوع
  - لم أتيت إلي القرية وأنت من سكان المدينة ؟
  - أردت أخذ إجازة أرتاح فيها من عناء العمل ، وصخب المدينة
  - يبدو أنك لم تخرج من غرفة الفندق منذ وصولك؟
  - أوماً نيكولاس برأسه
  - نعم ، وقد صجرت من الجلوس
  - أترغب أن آخذك بجولة على سوق القرية ، و ترى جمال قريتنا
  - أظهر نيكولاس ابتسامة رضا ، أوماً برأسه بقبول دعوته
  - وسار كلاهما بخطوات بطيئة بعد أن خفّ تساقط المطر
  - وصلا إلى السوق الشعبي ، انبهر نيكولاس بما رأى من بساطة السوق ، والناس ، وحتى الأطفال
  - في جانب السوق محلّ لبيع الخردوات من التحف الخشبية القديمة ، والتمائيل الصغيرة
  - والمجسمات ، دخل نيكولاس المحل
  - كم سعر هذه ؟ وكان قد أمسك بتمثال خشبي متوسط الحجم على شكل صليب
  - 20 بيزيتا
  - أليس ثمنه غال ؟
  - مقابل جودة صنعه ، وجودة الخشب ، أظن أن ثمنه مناسب
  - هل أبيعك شيئاً آخر ؟
  - لا ، شكراً
  - دفع نيكولاس ثمن ما أخذ ، وخرج من المحل
  - سار نيكولاس بعد أن استأذنه صديقه الجديد في رغبته العودة إلى المنزل ، لشعوره
  - بالإعياء من برودة الجو

وأكمل نيكولاس طريقه حتى وصل إلى وسط القرية ، وهذا المكان تقام فيه أنشطة كثيرة ، ومناسبات مختلفة ، وكلما تقدّم خطوة يكتشف أنّ هذا المكان يُعدُّ ثروة بما فيه من مناظر وجمال ، وحتى لمن يرغب التسوّق ، ويحبُّ اقتناء الأشياء القديمة اليدوية وأثناء سيره سمع تَمَنّاتٍ وأصواتٍ عن شابٍ سيظهرُ بعدَ لحظاتٍ ، شابٌ ساءَ حاله وأصبح الجميعُ يتحدثُ عنه من سوء وضعه

حاول أن يسترقّ السمع من هنا وهناك ، لكنّه كان متحفّظاً كونه لا يعرفُ أحدٌ ، وكيف له أن يبدي رأيه ، وكأنّه يفكرُ بصوتٍ عالٍ

- لو أنّني أحطى بمقابلة هذا الشاب الذي يتحدثُ الجميعُ عنه ، ويكونُ شفاؤه على يدي آه لو أقابله سيكونُ هذا يومٌ سعدي

وبلا مُقدّماتٍ يظهرُ الشابُ بملابسٍ رثّةٍ ، وهيئةٍ تقتقرُ إلى النظافة والاهتمام يرفعُ نيكولاس رأسه إلى الأعلى ، كأنّه يشكرُ الله على تلبية رغبته ، ولاحظَ نيكولاس كيف أنّ الناسَ يحاولون تجنبَ الاحتكاك بالشاب - وهو يسمعُ أصواتاً غيرَ مفهومة -

حاول نيكولاس أن يستجمع قواه ويتقدّم من الشاب ، وكان له ذلك

- مرحباً

ينلّفَت الشابُ يميناً وشمالاً ؛ يريدُ التأكد من مصدر الصوت

- مرحباً

قالها بخوفٍ وترددٍ

- أنا نيكولاس لك أن تقول إنّني طبيبُ القرية الجديد ، قالها - وهو يبتسم -

توسّع بُؤبؤا عيني الشاب ولم يرد

أظهر خوفه من نيكولاس

هو يخافُ الغرباء

رَبَّت نيكولاس علي كتفه ، وكأنّه يطمئنّه ويشعره بالراحة

بدأ الشابُ بالاضطراب ، وبدأ صوته يرتفع ، ويصدرُ عواءً كعواءِ الذئب

حاول نيكولاس تهدئته - والجميعُ من حوله على عجلٍ منتظرين -

أمسك نيكولاس بالشاب وضغطَ على جبهته بإحدى يديه ، أخذَ يضغطُ عليها ، وباليَد الأخرى ضغطَ على إصبع يده الأوسط ، حتى بدأ يخفُّ صوته ويهدأ

كل ذلك - والناسُ من حوله يتساءلون -

- كيف سيتعاملُ معه ؟

- ماهي خطته للعلاج ؟

- هل سينجحُ العلاجُ مع الشاب ؟

وجميعُ المتوجدين في ذهول !

وقفَ نيكولاس بكلِّ ثقةٍ ، وبصوتٍ جريٍّ قالَ لَهُمَ :  
- غداً قبيلَ الغروبِ سنجتمعُ جميعنا في الساحة القريية من العيادةِ  
الجميعُ الجميعُ يحضر  
- وأنتَ أنتَ ، لابدَّ من حضورك وأشارَ إلى الشابِ ...

## تَبْدُدُ الْمُسْتَحِيل

\*\*\*\*\*

بالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَهْنَأْ بِالنَّوْمِ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، سَاوَرَهُ الْقَلْقُ وَالْخَوْفُ مِمَّا سَيَحْدُثُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ،

وَمَعَ ذَلِكَ تَمَسَّكَ بِتَحْقِيقِ حُلْمِهِ ،

وَعَزَمَ عَلَى الْإِمْنَعَةِ شَيْءٌ مِنْ تَحْقِيقِهِ ، نَهَضَ مِنْ فِرَاشِهِ بِكُلِّ حِمَاسٍ وَقُوَّةٍ ، لَبَسَ بَدَلَتَهُ السُّودَاءَ ، وَكَانَ مَتَأَلِّقًا كَعَادَتِهِ ، وَارْتَدَّى رِبْطَةً عَنِ حِمْرَاءَ ، وَقَمِيصًا أَبْيَضَ ، وَجَوَارِبَهُ السُّودَاءَ .

أَخَذَ يُقَلِّبُ فِي صَفَحَاتِ الْجَرَائِدِ ، يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ السَّاعَاتِ لِحِينِ مَوْعِدِ الْاجْتِمَاعِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِأَحَدِ الْكُتُبِ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا مِنْ مَجْمُوعَةِ الْكُتُبِ الَّتِي أَحْضَرَهَا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ عَلَى زَاوِيَةٍ مِنَ الطَّوَلَةِ فِي غُرْفَتِهِ ، قَلَّبَ فِي الْكِتَابِ وَأَطَالَ النَّظَرَ فِيهِ ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ لِلْوَقْتِ إِلَّا وَمُنْبَهُ السَّاعَةُ يَدُقُّ بِجَوَارِهِ ، فَقَامَ مِنْ كُرْسِيِّهِ الْهَزَّازِ ، وَعَدَّلَ مِنْ هِنْدَامِهِ ، وَنَظَرَ إِلَى الْمَرَاةِ نَظْرَةً سَرِيعَةً ، وَسَرَّحَ شَعْرَهُ ، وَتَذَكَّرَ الْكِيسَ الَّذِي يَحْوِي سِرَّهُ الثَّمِينِ ، وَحَمَلَهُ فِي جَيْبِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى السَّاحَةِ الْمَجَاوِرَةِ .

كَانَتْ السَّاعَةُ تُشِيرُ إِلَى الْخَامِسَةِ مَسَاءً ، حِينَئِذَا وَصَلَ وَجَدَ مَجْمُوعَةً مِنْ أَبْنَاءِ الْقَرْيَةِ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى السَّاحَةِ .

انْتَابَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّوْتَرِ وَالْقَلْقِ ، لَكِنْ هُوَ وَاثِقٌ مِنْ نَجَاحِهِ وَخَبْرَاتِهِ وَعِلْمِهِ !  
جَاءَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْقَرْيَةِ

- لِمَاذَا طَلَبْتَ مِنَّا الْاجْتِمَاعَ ؟

- مَاذَا لَدَيْكَ ؟

- أَخْبِرْنَا نَحْنُ فِي عَجَلَةٍ لَنَعْرِفَ مَاذَا هُنَاكَ ؟

- كُلُّ شَيْءٍ سَيَتَضَيَّحُ مَا عَلَيْكُمْ سِوَى أَنْ تَتَحَلُّوا بِالصَّبْرِ وَالْهَدْوِ .

- حَسَنًا حَسَنًا نَحْنُ فِي الْإِنْتِظَارِ

بَدَأَتْ الْأَعْدَادُ تَنْتَزِإُ ، وَأَعْتَقَدَ نِيكُولَاسُ بِأَنَّ الْحَاضِرِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْمَارِ صِغَارًا وَكِبَارًا ، حَتَّى الْأَطْفَالِ وَالْمَرَاهِقِينَ ، وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ ، وَتَحَدَّثَ كَبِيرًا لَهُ ؛ لِيَشْهَدَ الْجَمِيعُ عَلَى بَرَاعَتِهِ وَنَجَاحِهِ .

اِكْتَنَزَ الْمَكَانُ ، وَبَدَأَ الْقُرُوبُ بِالْتَجَمُّهُرِ

تَوَسَّطَ نِيكُولَاسُ الْحَشُودَ



طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُنْظِمُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى شَكْلِ خُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ عَلَى شَكْلِ دَائِرَةٍ ، وَأَنْ يَتْرَكُوا  
مَسَاحَةً خَالِيَةً وَسَطَ السَّاحَةِ ، بِدَأْ يُنْظِمُ الصَّفُوفَ ، وَكَانَ الْقُرُوبُيونَ مُتَجَاوِبِينَ مَعَهُ ؛ لِأَنََّّهُمْ  
كَانُوا أَشَدَّ تَشَوُّقًا لِمَعْرِفَةِ مَا سَيُحْدِثُ .  
أَلْقَى نَظْرَةً خَاطِفَةً عَلَى السَّاحَةِ ، وَ وَجَدَهَا مَنَظَّمَةً وَمَصْفُوفَةً كَمَا أَرَادَ .  
كَانَ الْوَقْتُ قَبِيلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ قَدْ حَانَ ؛ وَفَجْأَةً يَظْهَرُ الشَّابُّ الْمَرِيضُ الَّذِي  
أَزَعَجَ الْقَرْيَةَ بِصَوْتِهِ ، وَجَنُونِهِ ، وَغَرَابَةِ تَصْرِفَاتِهِ .  
وَسَطَ ذُهُولِ الْجَمِيعِ  
تَقَدَّمَ نِيكُولَاسُ وَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، وَسَارَ هُوَ وَالشَّابُّ إِلَى وَسَطِ السَّاحَةِ ، وَرَحَّبَ  
بِالْحَاضِرِينَ جَمِيعًا .  
اجْتَمَعَتْ بِكُمْ الْيَوْمَ لِأَثْبَتِ لَكُمْ بِأَنَّ هَذَا الشَّابَّ سَيُشْفَى ، وَسَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ فِي الْمَجْتَمَعِ ،  
وَسَيُحْكِي الْجَمِيعَ عَنْ قِصَّتِهِ .  
بِأَصْوَاتٍ مُتَدَاخِلَةٍ فَهِمَهَا نِيكُولَاسُ  
أَشَارَ بِيَدَيْهِ بِأَنْ يَهْدَأُوا ، وَسَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَ مَرَأَى أَعْيُنِهِمْ ، وَأَنْتُمْ مَنْ سَيُحْكُمُ عَلَى  
نَجَاحِي ..  
عَمَّ الصَّمْتُ الْمَكَانَ !  
كَانَ نِيكُولَاسُ قَدْ جَهَّزَ مَقْعَدَيْنِ لَهُ وَلِلشَّابِّ الْمَرِيضِ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْجُلُوسِ .  
جَلَسَ الشَّابُّ دُونَ أَيِّ اعْتِرَاضٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُتَمَتِّمُ ، وَيُصْدِرُ صَوْتًا غَيْرَ مَفْهُومٍ  
رَبَّتْ نِيكُولَاسُ عَلَى كَتِفِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْهُدُوءَ ، وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِالتَّعْلِيمَاتِ الَّتِي يُوَجِّهُهَا إِلَيْهِ  
أَوْمًا الشَّابُّ بِرَأْسِهِ بِالْمُوَافَقَةِ  
عَادَ الْهُدُوءُ وَالصَّمْتُ الْمَكَانَ ، حَتَّى أَنْ صَوْتَ الْأَشْجَارِ وَالطَّيُورِ ، جَرِيَانُ مَاءِ النَّهْرِ لَمْ يَكُنْ  
مَسْمُوعًا .  
كَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مُنْتَظِرٌ هَذَا الْلِقَاءَ  
جَلَسَ الشَّابُّ ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ نِيكُولَاسُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَّقِدَ وَيَلْتَزِمَ بِتَنْفِيدِ كُلِّ  
مَا أَطْلَبُهُ مِنْكَ .  
شَعَرَ نِيكُولَاسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْقَلْقِ ، وَتَعَرَّقَ جَبِينُهُ لَكِنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسَهُ ، وَاسْتَرْجَعَ قُوَّتَهُ ، وَمَسَحَ  
قَطْرَاتِ الْعَرَقِ ، وَبَلَغَ رَيْقَهُ ، وَتَحَدَّثَ مَعَ نَفْسِهِ بِأَنَّ هَذِهِ فَرَصَتُهُ الَّتِي طَالَ انْتِظَارُهَا ، وَعَلَيْهِ  
أَنْ يَسْتَجْمَعَ قَوَاهُ ، وَيُثَبِّتَ لِلْجَمِيعِ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ ، وَقَادِرٍ عَلَى النِّجَاحِ  
أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ الدَّاخِلِيِّ ، وَأَخْرَجَ صُرَّةَ مِنَ الْقِمَاشِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ سَاعَةً دَائِرِيَّةَ الشَّكْلِ ،  
مُعْلَقَةً فِي سِلْسِلَةٍ فَضِيَّةِ اللَّوْنِ .  
سَنَبْدُ الْآنَ  
الْتَزَمَ الْجَمِيعُ الْهُدُوءَ حَتَّى أَنْفَاسَهُمْ لَمْ تَكُذَّ نَسْمَعَهَا

باليد اليسرى أمسك برأس الشاب ، وثبته وكان قد بدأ بالتوتر ، وكان حالة الهياج قد  
 ساورته ، ضغط نيكولاس على رأسه ،  
 - خذ نفسك عميقاً ، وكررها ثلاث مرات .  
 بعد ذلك طلب منه  
 - ركز نظرك في الساعة .  
 الساعة في يد نيكولاس اليمنى ، ويحركها يمينا ويسارا .  
 الشاب في قلق ، لم يهدأ تماماً  
 وكرّر نيكولاس تحريك الساعة بكل تركيز ، حتى سكنت نفسه وهدأت ، وبدأت أعصابه في  
 الارتخاء - وكأنه نائم -  
 الحضور في ذهول ، والكل يرفع رأسه لمعرفة ما يحدث  
 بدأ نيكولاس بتوجيه رسائل إيجابية إلى الشاب  
 - أنت شاب قوي  
 - أنت قادر على تخطي مخاوفك والآلام  
 - أنت شاب سيكون له شأن في المجتمع  
 - أنت شاب يسعى الجميع إلى مصادقتك  
 - أنت شاب تعشقك البنات ويحبونك  
 - أنت قادر على أن تتغلب على روحك الشيطانية  
 والناس في ذهول  
 بعد ذلك صفق نيكولاس بكلتا يديه بعد أن أدخل ساعته في جيبه .  
 استيقظ الشاب .  
 بدأت الناس في الحركة رغبة منهم في معرفة الكثير ، وبدأوا يطرحون الأسئلة  
 - هل عادت الحالة إلى الشاب ؟  
 - هل سيبدأ بالهياج والصراخ ؟  
 سأل نيكولاس الشاب  
 - بماذا تشعر ؟  
 - هل أنت بخير ؟  
 - نعم نعم ، أنا بخير  
 بدأ عليه الإعياء والتعب ، لكن هو بخير  
 أخبره نيكولاس بأنه قد شفي من مرضه ، وأصبح شاباً طبيعياً كغيره من شباب القرية .  
 وقف الناس ، وبدأوا بالتصفيق والضحك فرحاً بسرعة شفاء الشاب ، مهنئين ومباركين  
 وتقدموا نيكولاس وحملوه على أكتافهم - وهم يهتفون نيكولاس نيكولاس نيكولاس  
 بعد ذلك وضعوه على الأرض

ودعاهم إلى الشراب ، و الاحتفال بهذا الإنجاز  
وقال إنه سيعين هذا الشاب في عيادته ، وسيستطيع أن يزوال عمله من صباح الغد  
علت الأصوات مرة أخرى مبتهجين مسرورين على ما قام به نيكولاس طبيب القرية  
المنتظر ، وعلى طيبة قلبه في أنه أعان الشاب على حياته الجديدة بأن عينه لديه .

## ٧ بُرْتُقَالَةُ نِيكُولَاسْ لَاشْتَاينِ

\*\*\*\*\*

يُقال أن الصباح موعد الابتكارات وفيه يحصد العقل ثمار راحته ليلاً  
كانت تلك الحكمة آخر ماقرأها نيكولاس في كتابه قبل أن يستسلم للنوم

في بداية بزوق نهار اليوم التالي استيقظ نيكولاس من نومه ازاح الكتاب عن صدره ولبس  
كنزته الصوفيه ودنى إلى أسفل  
ليجد الشاب حديث الشفاء أمامه كان الشاب يجوب العيادة مستكشفاً أركانها  
قطع استكشافه الطبيب حين ألقى عليه  
-صباح الخير أيها الشاب النشيط يبدو أنك متشوقاً لمبادرة عملك  
فرك بيده رأسه الصلد وقال بخجل نعم أيها الطبيب إن في ذلك مبتغاي  
-حسناً أيها الشاب إنتظرنى ريثما أبدل ثيابي وسأتي لأعلمك باقي مهماتك  
-أتريد أيها الطبيب أن أعد لك كوباً من القهوة  
-من دواعي سروري أريدها مُره  
بعد أن حضر الشاب القهوة  
-جاء الطبيب وأشار الى المكتب الذي يتوسط ديوان العيادة قائلاً لمساعدته هذا سيكون  
مكتبك ستستقبل المرضى وستقوم بترتيب مواعيدهم  
-سأله الشاب هل سأقوم بعمل العلاج للمرضى  
-في المرحله القادمة قد احتاج مساعدتك ستراني أثناء الجلسات العلاجية ومن ثم سأجعلك  
تطبق ذلك  
-أنا جداً سعيد أيها الطبيب إن ذلك يجعلني أثق بنفسى كثيراً  
قاطع حديثهم  
صوت خطواتٍ تقترب وأنين الباب الخشبي صدر  
وإذا بشابتان ناعمتا الخطا وشابٌ وسيم يقفان في وسط ديوان العيادة

انصرفت عين نيكولاس على يد الشاب الذي يحمل ضالته التي فقدوها وبها يوجد سره الثمين  
ما إن ألقت الشابتان التحية على الطبيب ومساعدته  
قطعهما نيكولاس قائلاً لقد عثرتم عليها مؤشراً ببنانته على الحقيبة  
اقترب دانيال وأعطاهما نيكولاس ولم ينطق بكلمة واحدة وكان وجهه بريء الملامح خالياً  
من التعابير  
أثار في نفس نيكولاس ومساعدته الريبه  
وجه نيكولاس نظره عليه قائلاً في نفسه يبدو أن هذا هو الشاب الذي يتصنع الصمت وإنني  
لأجزم أنه يخفي شيئاً ما .

تحدثت إزابيلا بنبرة صوت خافته لقد أرسلتنا لأجلك يا طبيب والدتي مارسيلا وتبعث لك تحياتها وإعتذارها

- وكيف حصلتما عليها يا آنسة إزابيلا سألهما نيكولاس وأضاق عيناه من التركيز أجابت جيسكيا نيابة عنها قد أحضرها خادم خالتي عندما وجدها ملقاةً في العربة وقد تعرفت عليها خالتي مارسيلا قائلةً إنها خاصة الطبيب الذي إستأجر داري قد غمرتني السيدة مارسيلا بلطفها وجزيل عرفانها وكانت الراحة تغمر صدره وأخذ يتقحص حقيقته ومابها

نظر نيكولاس نحو مساعده مشيراً بيديه للضيوف أعرفك على الآنستان الجميلتان إزابيلا ابنة السيدة مارسيلا وهذا الشاب شقيقها وهذه الفتاة هي ابنة أختها مشيراً على جيسكيا

زم نيكولاس شفتيه وابتسم إبتسامة ساخرة أما هذا أيتها الشابتان شيطان القرية إبتسمت الآنستان ومزال دانيال محتفظاً بصمته وجمود تعابيره لم يشاركهم فكاهة الموقف أنكس المساعد رأسه بإستحياء ..

تقدمت جيسكيا بخطواتها المليئة بالسكر الأنثوي إتجاهه - أتمنى أن تقبل مني هذه الهدية لإجل سلامتك وغضت طرفها وأمالت رأسها بإبتسامه أظهرت لمعان أسنانها

مد الشاب نظراته قبل يده ليتسلم منها صندوق البرتقال وكان الزمن توقف وعقارب الساعة إحتضنت تلك اللحظة وتسلل نسيم خصلات شعرها خياشيمه وكانت ملامحه فاضحة سر أعماقه ومقلته أسرفت في النظر لها

وإذا بالصامت ينطق كفراً بعدما صمت دهرأ حرك دانيال يده وهو كازاً على أنيابه ناطقاً كلماتاً لأتفقه تخرج بصعوبة ولكن الشابتان فطنتا له بأنه يود الإنصراف وهما بالرحيل ودعت جيسكيا وإزابيلا الطبيب ومساعدته استقام الطبيب لهم وأوصى أزابيلا "بلغي والدتك تحياتي وشكري" وأمسكت جيسكيا بيد ابن خالتها الذي لفت إنتباهها بإنعقاد حاجبيه وعبوسه لتهدي من روعه الذي لاتعلم أسبابه

خرجت جيسكيا ولكن فكر مساعد الطبيب إنشغل في جمالها تبعهم بخطا سريعة ليلحق ماتبقى من عبيرها وإذا بمعدل نبضاته يزداد منادياً لها

-جيسكيا بنبرة ترتفع بالتدريج توقفت وأدارت جسدها نحوه اقترب وكان يضحك من فرط الإرتباك هلا قبلتي دعوتي في الغد فلك عندي دين -أبتسمت بخجل نادر

وما زال يضحك قائلاً سأعصر البرتقال وسأدعوك لنشره سوياً  
ضحكت شفتاها الممتلئة التي تشبه حبات التوت ذلك وصفها في مخيلته  
وكانت ضحكاتها جواباً بالرضى  
شد دانيال يدها وأجبرها على المضي وكأنه تعمد أن يبعدها عن الشاب  
وسمع المساعد نداء نيكولاس الذي أنقذه من أن يقترب بلاهة أخرى  
تمادى بخطواته مسرعاً ليجيب نداء الطبيب  
الذي إنشغل عقله بخلاف ما شغل به عقل مساعده  
دخل عليه وهو ممسك ببرتقالة يقلبها بين يديه ويتفحصها يقربها من أنفه ويشمها بشراهة  
ويخاطب نفسه بداخله سري المكنون وشد قبضته عليها حتى أخرجت عصارتها التي بللت  
رسغه  
قطع الشاب حبل أفكار الطبيب مجيئاً لندائه  
تفضل أيها الطبيب بماذا أساعدك  
-اقترب أظن أن هدية الفتاة لك صنعة لأجلي معروفاً  
تبدو حبات البرتقال شهية صحيح أيها الطبيب  
لم يجبه الطبيب فقد كان صامتاً وكأنه يفكر في شيء ما  
-سأضع سري في عصير البرتقال وأقدمها كضيافة لمرضاي وبذلك يرتشفون السعادة دون  
علمهم قالها نيكولاس في نفسه وهو سارح في خياله متأملاً سلة الفاكهة  
أخرجه الشاب من غرقانه في أفكاره عندما سألته  
-ماذا تحوي هذه الحقيبة أيها الطبيب  
-أولاً أتمنى أن تتأدبني بنيكولاس فمن الآن سنعمل كفريق واحد لا بد أن نكسر الحواجز بيننا  
-أنكس الشاب رأسه باستحياء وأجاب حسناً أيها الطبي... أقصد نيكولاس  
ثم نهض نيكولاس وبادر بفتح الحقيبة مخرجاً ما جعبتها مشيراً لمساعدته إليها  
-هذه أدواتي التي أعد بها مركباتي العلاجية  
-وما دورى أنا في هذه التجارب ؟  
-ستقوم بإعداد عصير البرتقال حتى أضع فيه التجربة  
-عصير البرتقال !! قالها الشاب بتعجب شديد رافعاً حاجبيه  
-نعم يا مساعدي ألم أخبرك بالتو أن هديتك من جيسكا أسدت لي معروفاً فقد راودتني هذه  
الفكرة حين رأيت البرتقال  
سيكون دورك أنك ستحضر عصير الحامض وأنا سأضع فيه مصلي المبتكر وبذلك ستكون  
مساعدي في شفاء المرضى

ابتسم الشاب وطيبه وبات نيكولاس يدرّب مساعده وبدأت عليهم السعادة والإنسجام

فسعادة نيكولاس حبيسة تجاربه  
أما مساعد الطبيب سرح خياله بوادٍ من الشغف لتلك الحسناء ...

## ولادة حُبِّ من رَحِم الطبيعة

\*\*\*\*\*

كانت تجلس فوق أرض مكسوة باللون الأخضر، تحفها الطبيعة من حولها ، وأمامها  
البحيرة المزينة بقوارب صغيرة من الخشب ، كلوحة مكتملة لرسم مبدع جمع بين جمال  
الطبيعة وجمال البشر .

كانت جيسيكا تجلس باعتدال ممشوقة القوام ، بهيئة الطلعة ، بشعرها الطويل الأشقر ،  
منسدل بين ذراعيها ، تحفها الطبيعة .

هذا ما كان يشاهده الشاب أمامه ، فهو يقف على بُعد خطوات خلف جيسيكا ، لا يدري  
كيف يفتتح قصة حبه في أول لقاء جمعهما ؟  
أغمض عينيه وتتفّس بعمق ...

- هل أبدأ بمناداتها مستعرضاً صوتي الذكوري ، أم أبدأ بتقديم الورد الحمراء ،  
أم أكون مرحاً وأصرخ فازعاً إيّاها ، و ثم تعلقو صرختها ، فتتبعها ضحكاتنا فنكسرُ بها  
حاجز الحياء !، لا ، لا .. لا أجدها فكرة جيدة.

قطع عليه حديث نفسه إحساسه بجسم غريب بين رجلينه ؛ كانت قبعة جيسيكا التي طارت  
بعد مداعبة الرياح لها كأن كل من حولها متشوق لبدء ولادة حبهما .

نظرت جيسيكا للخلف لترى أين وقعت قبعتها لتتفاجأ به يقف خلفها !

- منذ متى وأنت واقف هنا ؟

- ها !!؟؟ منذ ثوانٍ .

أخذ قبعتها وتقدم نحوها

- ملكتي ، هل تسمحين لي تتويجك ؟

أومات برأسها بالموافقة ، امتزجت بابتسامة رقيقة ...

وضع قبعتها فوق رأسها بهدوء ، أخرج وردته ثم قدم لها الورد الحمراء التي أخذت منه  
نصف ساعة لاختيارها من بين الورود ، أبهاهن شكلاً ، وأزكاهن رائحةً ، وأزهاهن لوناً ،  
واشبههن لجسيكا ...

- لقد قطفتها لك ؛ لأرد لك هديتك ، هل أعجبتيك ؟

تناولت منه الورد قائلة :

- بالطبع، جميلة

- كجمالك !

- هل تعامل جميع من تقابلهم بهذه الطريقة ؟  
رَدَّ مُرْتَبِكًا

- هل تجاوزتُ حدودي معكَ ؟

- لا ،.. أقصدُ أنتَ لطيفٌ جدًّا .

جلسا بجانب بعضهما ، ثم سادت لحظة صمتٍ ، كانا يقضيانها بتأمل البحيرة التي طبعتُ  
على أُمواجهها الهادئة أشعة الشمس الدافئة ؛ فزادت من حميمية المكان .

- كيف أصبحت الآن بعد أن شفيت من حالتك ؟

- بخيرٍ ، لم تعد نوبات المرض مرةً أخرى، تحسنتُ حالتي الصحية ، وبدأتُ بمزاولة  
عملي كمساعدٍ لنيكولاس ، اكتسبتُ هدفًا لحياتي .

- رُبَّ ضارةٍ نافعة .

- ما معنى أسمك يا جيسيكا ؟

- معناه العطية الإلهية .

قال مُحدثًا نفسه - وهويتأمل سحرَ عينيها السماويتين :

- الآن عرفت سبب وجودك في حياتي ، انتي عطيتي الالهية .

- جميلٌ

- ماهو الجميل ؟

- معنى اسمك

ضحكتُ جيسيكا ، ثم تابعتُ قائلةً :

- هل أخذَ منك كُلُّ هذا الوقتِ في التفكيرِ لِتَدْرِكِ أَنَّ معنى اسمي جميلٌ ؟

رَدَّ بابتسامةٍ تحملُ الكثيرَ مِنَ الغزلِ ، يجدُ الكثيرَ مِنَ الخجلِ لِلْبُوحِ بِهِ .

- حَدَّثيني يا جيسيكا عن نفسك ..

- فتاةٌ بسيطةٌ ، أحبُّ الحياةَ التي أَسْتَشْعُرُ كُلَّ يومٍ قيمتها ، لأنِّي وُلِدْتُ يومَ وفاةٍ والدتي .

- هَذَا يُفسِّرُ بَقَاؤِكَ فِي مَنْزِلِ السَيِّدَةِ مَارْسِيلا .

- تُوْفِيتُ أُمِّي حُزْنًا عَلَى أَبِي ، فبعدَ ذهابهِ للمشاركةِ فِي الحَرْبِ لَقِيَ مَصْرَعَهُ فِيهَا ،

أَخَذْتَنِي خَالَتي مَارْسِيلا ، وَرَبَّتَنِي كَأَنِّي وَاحِدَةٌ مِنْ أَبْنَائِهَا .

- وَمَا رَابَطُ ذَلِكَ بِحُبِّكَ لِلْحَيَاةِ ؟

- أَتَمَنَّى أَنْ يَطُولَ عُمْرِي ؛ لِأَهَبَ أَبْنَائِي كُلَّ الحُبِّ الأبَوِيِّ ، وَالاهْتِمَامَ الَّذِي أَفْتَقَدْتَهُ

فِي صَغُرِي .

- أَحْسَدُ أَبْنَائِكَ سَلَفًا عَلَى أُمِّهِمُ الرُّؤُومِ

- وَأَنْتَ لَسْتَ مِنْ هُنَا بِالتَّأَكِيدِ ، لِمَاذَا أَتَيْتَ إِلَى قَرِينَتَا ؟



- أَسْكُنُ فِي الْقَرْيَةِ الْمَجَاوِرَةِ ، طُرِدْتُ مِنْ أَهَالِي الْقَرْيَةِ ؛ بِسَبَبِ حَالَتِي فَقَدْ نَشَرْتُ الذُّعْرَ فِي أَرْجَائِهَا ، لَمْ أَتَحْمَلْ قَسَوَتَهُمْ ، وَتَهْدِيدَهُمْ لِي بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ أَرْحَلْ .
- نَظَرُ إِلَى عَيْنَيْهَا بِنَظَرَةٍ لَمْ تَفْهَمْ هِيَ مَغْزَاهَا .
- إِذَا سَنَحْتُ لِي الْفُرْصَةَ ، سَأُعَادِرُ إِلَى قَرْيَتِي فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ ..
- عَلْتُ عَلَى مَلَامِجِهَا عَلَامَاتُ التَّعْجُبِ !
- لِمَ إِذَا تَغَادَرُ؟ أَلَمْ تَخْبِرْنِي قَبْلَ قَلِيلٍ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ بِخَيْرٍ ، وَقَدْ تَحَسَّنْتَ مِنْ حَالَتِكَ؟ أَلَمْ تُشِذْ بِعَمَلِكَ مَعَ الطَّبِيبِ نِيكُولَاس؟
- ضَحِكَ الشَّابُّ ، وَأَحْسَتْ جِيسِيكََا بِمِبَالِغَةِ رَدِّهِ فَعَلَهَا ، ثُمَّ صَمَتَتْ خَجَلًا .
- سَأُذْهَبُ لِلْقَرْيَةِ ، وَأَطُوفُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فِيهَا صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَهْلًا ، وَأَشْكُرُهُمْ عَلَى طَرْدِي مِنْ قَرْيَتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ بَطَرْدِهِمْ لِي أَتَاحُوا فُرْصَةً تَعْرِفِي عَلَى حَسَنَاءِ الْقَرْيَةِ الَّتِي تَقِفُ أَمَامِي الْآنَ.
- تَوَهَّجَتْ وَجْنَتَاهَا خَجَلًا ، وَلَمَلَتْ مَا تَبَقِيَ لَهَا مِنْ قُوَّةٍ قَاوَمَتْ بِهَا جَاذِبِيَّتُهُ ، وَحَلَاوَةُ مَنْطِقِهِ .
- اِسْمَحْ لِي - سَأُذْهَبُ - وَعَدْتُ خَالَتِي بِأَنْ لَا أَتَأَخَّرُ عَنِ الْمَنْزِلِ .
- هَلْ أَخْبَرْتَهَا بِمَوْعِدِنَا ؟
- دَانِيَالُ أَخْبَرَهَا ، وَلَكِنْ كُنْتُ لَا أَعْلِمُهَا ؛ لِأَنِّي لَا أُخْفِي عَنْهَا شَيْئًا .
- هَلْ سَأَرَاكَ قَرِيبًا ؟
- زَمَّ شَفْتَيْهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهَا : مُمَكِّنْ .
- إِذَنْ ، سَأَتِي إِلَى هُنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي نَفْسِ الْمَوْعِدِ .
- وَمَاذَا سَتَفْعَلُ إِنْ لَمْ تَجِدْنِي ؟
- لَا تَقْلَقِي سَأَجْلِسُ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ بِصُحْبَةِ طَيْفِكَ .
- ابْتَسَمَتْ لَهُ وَوَدَّعَتْهُ ثُمَّ غَادَرَتْ سَرِيعًا .

## المَصْلُ الَّذِي أَسْعَدَ قِشْتَالَه

\*\*\*\*\*

وَلَاَنَّ اللَّيْلَ وَقَتَ المعجزاتِ وفيه تَسْتَقِظُ العُقُولُ العَبْرِيَّةُ ..  
 قُبِيلَ الفَجْرِ بساعاتٍ قليلةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْزِلَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ السَّمَاءَ ...  
 تَسَلَّلَ نيكولاس مِنْ مَرَقِدِهِ دَانِيًا إِلَى سِرْدَابِهِ المَغْلَقِ ، حَامِلًا بِيَدِهِ قَبْسًا مِنْ نورٍ ، وَكَأَنَّهُ سَرَقَ  
 الشمسَ مِنْ قُبُلُولَتِهَا ، وَجَعَلَهَا تَقْتَحِمُ فَلَكَ القَمَرِ .  
 اسْتَطَرَدَ يَلْحَقُ ماسُولًا بِهِ نَفْسِهِ فِي اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ .  
 رُغْمَ أَنَّهُ يَرْتَدِّي مَلَابِسَ نَوْمِهِ الصُّوفِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَرَصَ عَلَى أَخْذِ سَاعَتِهِ الذَّهَبِيَّةِ  
 هُنَاكَ فِي قَبْوِ مَنْزِلِهِ المُعْتَمِ ، كَشَفَ الغطاءَ عَنْ سِرِّهِ الثَّمِينِ !!  
 أَخْرَجَ حَقِيبَتَهُ اليَدَوِيَّةَ ، وَوَضَعَهَا أَمَامَهُ ، وَ أَخْرَجَ مِنْهَا أدواتِ التَّقْطِيرِ ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ  
 مَعْمَلًا كِيمِيائيًا بِدَائِيًا .

قَائِلًا لِنَفْسِهِ :

حَانَ الوقتُ ؛ لِأَثْبَتَ لِنَفْسِي وَلِلْعَالَمِ أَجْمَعِ ، أَنَّ السَّعَادَةَ عبارةٌ عَنْ مُرْكَبَاتٍ تَتَجَانَسُ مع  
 بعضها ، وَتَسْرِي فِي شرايينِ الجَسَدِ تَبْتُ فِيهَا شعورَ النَّشْوَةِ

أَخْرَجَ مُعِدَاتِهِ ، وَجَهَّزَ الماءَ المُقَطَّرَ وَوَضَعَهُ عَلَى الشُّعْلَةِ ؛ لِئِبَادِرَ بالغَلِيَانِ ،  
 وَأَخْفَضَ الضَّوْءَ ؛ فَمُرْكَبُهُ ذُو حَسَاسِيَّةٍ مِنَ النُّورِ ، فَكَانَ مُحْتَمًّا عَلَيْهِ تَحْضِيرُهُ قَبْلَ أَنْ تَقْرَعَ  
 سَاعَةُ الفَجْرِ .

جَهَّزَ قَنِينَتَهُ ، وَخَلَعَ مِنْهَا سُدَادَتَهَا الخَشَبِيَّةَ ، وَأَخَذَ القَطَّارَةَ اليَدَوِيَّةَ وَبَدَأَ بِمَزْجِ الأمفيتامينِ  
 بِعِدَّةِ قَطْرَاتٍ مَعَ الفينيثيلامينِ مَعَ مَجْمُوعَةٍ عَقَاقِيرَ ذاتِ التأثيرِ العَقْلِيِّ ،  
 وَكَانَتْ يَدَاهُ تَرْتَجِفَانِ ؛ فَقَدْ وَضَعَ بِجَانِبِهِ وعَاءَ مَمْتَلِئًا بالماءِ البَارِدِ ، فَكُلَّمَا زَادَ تَدَفُّقُ الدَّمِ فِي  
 يَدَيْهِ مِنْ فَرْطِ التَّرْكِيزِ ، غَطَّسَهَا فِي الماءِ البَارِدِ لِيَتِمَكَّنَ مِنَ التَّحَكُّمِ بِهَا ...  
 اسْتَغْرَقَ فِي ذَلِكَ سَاعَتَيْنِ ...

وَأخِيرًا أَقَامَ انحناءَ ظَهْرِهِ ، وَمَسَحَ عَرَقَ جَبِينِهِ ، وَزَفَرَ الهَوَاءَ قَائِلًا : لَقَدْ نَجَحْتُ يَا  
 نيكولاس بنبرةٍ اكْتَسَحَهَا الغُرُورُ .

أَخْرَجَ سَاعَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ ، وَسَحَبَ الهَوَاءَ مِنْ صَدْرِهِ ، وَخَاطَبَ سَاعَتَهُ أَنْتِ جُزْءٌ مِنْ  
 ابتكَارِي ! أَشْعُرُ أَنَّ فِي عَقَارِيكِ تَسْكُنُ رُوحُ لُونَا .

سرخ بخياله في ذلك اليوم الذي اجتمع فيه هو وزوجته الراحلة على مائدة عشاء حضرتها بحب ، وأشعلت شموعها من ضحكاتها ، وأهدته الساعة الذهبية هامة له " أريدك أن تعلقها في جهة قلبك ، حتى تشعر بوجودي دائماً .

انقطع خياله بسقوط دموعه على كفه ومضى ..  
وأسدل الأنظار على تركيبته المبتكرة ، وأغلق سردابه ، وصعد إلى مرقده مترقباً الصبح ؛ ليبدأ بتطبيق تجاربه ....

وبمجرد أن استيقظ أسرع في جني البرتقال من الأشجار المقابلة لعيادته ، وتمتم قائلاً :  
لابد أن أحضر كل شيء قبل قدومهم قاصداً أهل القرية...  
وبعد أن ذاع صيت مصل السعادة في أرجاء القرية .

تجمهر أهالي القرية في فناء المزرعة المقابلة لعيادته ، وكل منهم تحدث مع من بجانبه يبدو أن هذا الطبيب أنزل إلينا من السماء ، وستبدد أحراننا على يديه الحريرتين .  
أسرع نيكولاس بإحضار مصله من السرداب، وجهر وعاء ينضج بعصير البرتقال وأضاف عليه بعضاً من قطرات تركيبته ، ووضعها على طاولة ذات ثلاثة أرجل بجوار كرسي المرضى المصنوع من الجلد اللامع ، وضع عليه قطعة من الفرو الرمادي ، ليشعر المريض بالاسترخاء أثناء التجربة .

تقدم من باب العيادة الكبير وشرعه لمرضاه مرحباً بهم ...  
مرحباً بكم في دار السعادة ، أنا هنا من أجليكم لأخلصكم من كل غم ، أو ماضٍ أظلم عليكم حاضركم ، قالها بنبرة صوتٍ جهورية مليئة بالثقة .

اقتربت منه سيده في العقد الرابع من عمرها كانت منطفئة الملامح ..  
- أود أن تخلصني من ألمي أيها الطبيب ، قالتها - والأني ظاهراً في منطوقها -  
- اقتربي يا سيدتي لك ما طلبت !

اقتربت منه ورفعت نسيج ثوبها ذي الكممين الطويلين من يدها اليمنى  
أجحظ عيناه ممّا رأى ، وأردف لها :

- تفضلي ياسيديتي إلى غرفة العلاج  
تبعته كمن أوشكت للوصول إلى طرف الخيط الذي سيخلصها من عقبتها  
- تفضلي ياسيديتي بالجلوس على الكرسي

استند على كرسيه المقابل لها وسمّر نظره بها !  
جلست السيدة بهدوء ، وقدم لها كأساً من عصارة الحامض الذي أعدّه

مَدَّت يَدَهَا الْيُسْرَى وَارْتَشَفَتْهُ كَامِلًا ، وَهِيَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ السَّعَادَةَ بَدَأَتْ تَجْرِي مَعَ مَجْرَى دِمَهِهَا .  
- أَرِيدُ مِنْكَ الْآنَ يَا سَيِّدَتِي الْأَسْتِقْلَاءَ بِأَسْطَةِ يَدَيْكَ وَجَاعِلَةً جَسَدَكَ يَتَحَرَّرُ مِنْكَ  
وَأَمَّا الْآنَ :

- مَا اسْمُكَ سَيِّدَتِي ؟ وَأَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْهَا بِرَفَقٍ ؛ حَتَّى يُشْعِرَهَا بِالرَّاحَةِ .

- وَمَا أَلْمُكَ يَا سَيِّدَةَ مَا جُولَا ؟ وَعَقْلُهُ حَائِرٌ مِمَّا رَأَاهُ !

أَجَابَتْ مَا جُولَا :

تَحَسَّسْتُ بِيَدِهَا الْيُسْرَى يَمِينُهَا ، وَأَغْدَقْتُ بِشُكْوَاهَا :

- قَدْ فَقَدْتُ يَدِي الْيُمْنَى إِثْرَ حَادِثَةٍ تَعَرَّضْتُ لَهَا أَثْنَاءَ مُزَاوَلَةِ الْخِيَاطَةِ فَقَدْ شَاكَتْنِي إِبْرَةٌ

وَأَنْكَسَرَ طَرَفُهَا بِدَاخِلِي ، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَقَدْ تَجَاهَلْتُهَا .

أَخَذَ يُنْصِتُ لَهَا بِكَامِلِ حَوَاسِهِ

وَأَكْمَلَتْ :

- وَذَاتَ لَيْلَةٍ اسْتَيْقَظْتُ عَلَى أَلَمٍ مُبْرِحٍ ، وَكَأَنَّ أَحَدًا عَصَرَ ذِرَاعِي ، وَكَانَ لَوْنُهَا قَاتِمٌ

يَمِيلُ إِلَى الزَّرْقَةِ ، ذَهَبْتُ إِلَى الطَّبِيبِ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَخْبِرَنِي أَنِّي فَقَدْتُ ذِرَاعِي

؛ لِأَنَّهَا تَعَفَّنَتْ ، وَأَخْبِرَنِي أَنَّ الْحِلَّ الْوَحِيدَ كَانَ هُوَ بَثْرُ الْيَدِ قَبْلَ أَنْ يَتَأَذَى كَامِلٌ

جَسَدِي .

قَالَتْ ذَلِكَ وَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ ، فَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْأَلَمُ لَمْ يُفَارِقْنِي رَغْمَ أَنَّ يَدِي لَمْ تُعَدِّ مُتَّصِلَةً  
بِجَسْمِي .

هَزَّ رَأْسَهُ مُعْبِرًا بِذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ تَشْخِصِ حَالَتِهَا

- إِنَّ مَا تَشْعُرِينَ بِهِ سَيِّدَتِي لَيْسَ بِحَقِيقِي

قَاطِعَتُهُ

- وَهَلْ يُعَقِّلُ ذَلِكَ ؟ !

- تَرِيئِي سَيِّدَةَ مَا جُولَا لِأَكْمَلَ حَدِيثِي ، هَذِهِ الْحَالَةُ تُصِيبُ مُعْظَمَ مَنْ يَفْقِدُونَ أَحَدَ

أَطْرَافِهِمْ ؛ فَقَدْ لَازَمَكَ الْوَهْمُ ، وَذَلِكَ نَاتِجٌ عَنْ صَدَمَتِكَ مِنْ هَوْلِ مُصَابِكَ ، وَلَكِنْ -

- لَا تَتَقَلَّقِي كُلَّ هَذَا سَيُصْبِحُ فِي طَيِّ النَّسِيَانِ

تَسَبَّثْتُ بِيَدِهِ ، وَقَالَتْ رَاجِيَةً مِنْهُ : إِنِّي لَأَكُونُ مَمْنُونَةً لَكَ إِذَا شُفِيتُ ، وَسَأَبْذُلُ لَأَجْلِكَ

النَّفِيسَ مِمَّا أَمْلِكُ .

الْآنَ :

- افْعَلِي مَا أُمْلِيهِ عَلَيْكِ : اسْتَلْقِي ، وَاغْمِضِي عَيْنَيْكِ وَخُذِي شَهيقاً يَمَلأُ رِئَتَيْكِ بِالْهَوَاءِ ،  
وَمَنْ ثَمَّ أَطْلَقِي زَفيراً ، افْعَلِي ذَلِكَ ثَلَاثاً ..

الآن :

- افْتَحِي عَيْنَيْكِ ، وَسَحَبِ سَاعَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ مِنْ دَاخِلِ جَيْبِ سِتْرَتِهِ

- أَعِيرِينِي نَظْرَكَ بِاتِّجَاهِ السَّاعَةِ

أَخَذَ يُمَرِّجُهَا بِخَفَةِ هَذَا وَهُنَاكَ

وَهِيَ مَا زَالَتْ تُتَابِعُ السَّاعَةَ بِتَرْكِيظٍ

الآن:

- اُغْمِضِي عَيْنَيْكِ

مَا إِنَّ اُغْمَضَتْهَا حَتَّى خَارَتْ قُوَى جَسَدِهَا ، وَأَخَذَتْ تَسْبُحُ فِي سَبَاتٍ عَمِيقٍ .

اسْتَقَامَ نِيكُولَاسُ وَاضِعاً إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهَا ، وَالْأُخْرَى كَانَ سَانِداً بِهَا جَسَدَهَا ،

وَأَخَذَ يُتَمَتِّمُ بِكَلِمَاتٍ تَتَسَلَّلُ دَاخِلَ عَقْلِهَا الْبَاطِنِ ، وَكَانَتْ سَيِّلاً مِنَ الْأَوَامِرِ .

أَخَذَ يَقْصُ عَلَيْهَا مَا عَانَتْ مِنْهُ فِي الْمَاضِي قَاصِداً بِذَلِكَ إِعَادَتِهَا بِالزَّمَنِ لِلوراءِ ؛ حَتَّى يُعِيدَ

بِرَمْجَةِ حَوَاسِهَا ، وَيَجْعَلَهَا تَتَقَبَّلُ الْأَمْرَ رَغْمَ مَرَارَتِهِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ خُطَّةُ الْعِلَاجِ ،

بِأَنْ يُعِيدَ مَرْضَاهُ بِالزَّمَنِ لِلوراءِ ، جَاعِلَهُمْ يُوَاجِهُونَ عُقْدَهُمْ وَيَتَقَبَّلُونَهَا ؛

فَالْتَقَبُلَ وَالْمُوَاجَهَةَ هُمَا السِّرَّانِ فِي تَجَاوُزِ أَيِّ عَقْبَةٍ ، ثُمَّ أَخَذَ يُلَقِّنُهَا بِكَلِمَاتٍ مِنَ الْأَمَلِ .

حَانَ الْوَقْتُ لِتَسْتَقْبِلِي حَاضِرَكَ السَّعِيدَ ، وَتَغْلَقِي أَبْوَابَ مَاضِيكِ الْمُنْقَضِي

اسْمَحِي لِجَسَدِكَ أَنْ يَتَنَفَّسَ الْحَيَاةَ دُونَ قِيودٍ مِنَ الْأَلَمِ

إِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ كَانَ يَسِيرُ لِأَجْلِ صِحَّتِكَ

إِنَّكَ الْآنَ تَتَنَعَّمِينَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ ، وَبِجَسَدٍ قَوِيٍّ مُعَافَىٍّ دُونَ أَيِّ أَلَمٍ

مَاجُولَا

مَاجُولَا

أَشْعُرِي بِقُوَّةِ اسْمِكَ ؛ فَهُوَ نَافِذَةٌ ذَاتِكَ

أَحْبَبِي ذَاتَكَ كَمَا هِيَ

إِنَّ رُوحَكَ خُلِقَتْ لِأَجْلِكَ

مَاجُولَا تَتَمَتَّعُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ

مَاجُولَا إِنْسَانَةٌ جَدِيدَةٌ ، وَلَهَا مُمِيزَاتٌ خَارِقَةٌ

لَقَدْ كَانَتْ تَسْمَعُ كُلَّ مَا قَالَ ، وَتُسَجِّلُهُ دَاخِلَ ذَاكِرَتِهَا الرَّمَادِيَّةِ الَّتِي سَتَنْفِذُ لَهَا مَا تُرِيدُ فَوْرَ

إِفَاقَتِهَا مِنْ حُلُمِهَا الْعِلَاجِيِّ .

بِنَبْرَةٍ صَوْتٍ عَالِيَةٍ أَمْرُكِ الْآنَ يَا مَاجُولَا أَنْ تَفْتَحِي عَيْنَاكَ ، وَتُكَرَّرِي التَّنَفَّسَ

استيقظت على الفور ، واجترت أنفاسها وكأنها لم تغف بالتو  
ابتسم نيكولاس وانشرح قلبه

بعد أن أفاقت شعرت بارتياح شديد ؛ فقد كان مفعول المصل قد ظهر تأثيره ، وأخذت  
تخبره

- إنني لأشعر أيها الطبيب وكأنني خلقت من جديد ، وكأن الزمن طوى كل ما هو موجه  
، أشعر الآن بأن يدي سليمة ، وكأنها كما كانت ، وأمنت بحبي لذاتي ، أنت معجزة  
أيها الطبيب ؛ فقد انهمرت دموعها ولكن الآن بسبب الفرح ، وقالت له : أشكرك  
من أعماقي

- لاداعي للشكر سيدة ماجولا ، إن ذلك واجب علي ، وشعور سعادتك الآن أسعدني  
أنا أيضاً ، استمتعي بحياتك وبروحك الجديدة

خرجت ماجولا من العيادة وكانت جموع الناس في استقبالها ، وأخذت تقص عليهم  
تفاصيل ماجرى ، واستمعوا لها - وهم يُصفقون - وأخذوا يتناوبون للعيادة لأخذ مواعيد  
علاجية ، مُردين نريد تجربة مصل السعادة في دار السعادة ، فقد نقش ذلك على خشبة من  
أغصان شجر البرتقال ، وعلقت على جانب بوابة عيادة نيكولاس .  
ونجحت أولى تجارب نيكولاس ، وأخذ مصل السعادة يسري في عروقها مُطهرًا جسدها ،  
وكانت ماجولا من المحظوظين ،  
وهل سيكون نصيب باقي المرضى مثلها ؟

## ١٠ زِيَارَةُ مُفَاجِئَةٍ

\*\*\*\*\*

ارْتَقَعَ صَوْتُ نِيكُولَاس مُنَادِيًا مُسَاعِدَهُ - أَرِيدُكَ أَنْ تُجَهِّزَ لِي عَرَبَةً تُقَلِّنِي إِلَى نُزْلِ السَيِّدَةِ مَارْسِيَلَا

- وَمَا مَنَاسِبَةُ ذَلِكَ يَا صَدِيقِي ؟

سَأَخْبِرُكَ بِذَلِكَ حِينَ أَعُودُ ، أَرِيدُ الذَّهَابَ إِلَيْهَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، هِيَ اسْرِعْ  
إِمْتَنِعْ وَجْهَهُ مُسَاعِدَهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَقَدْ اعْتَادَ أَنْ يَشَارَكَهُ نِيكُولَاس بِكُلِّ شَيْءٍ مُسَبِّقًا ، وَلَكِنْ  
رَغِمَ ذَلِكَ أَطَاعَهُ فِيمَا طَلَبَ .

إِرْتَقَى نِيكُولَاس يُحْضِرُ نَفْسَهُ لِلذَّهَابِ ، ارْتَدَى مَلَابِسَهُ الْبَاذِخَةَ ، وَوَضَعَ قَبْعَتَهُ الْمُخْمَلِيَّةَ  
السُّودَاءَ ، وَرَشَّ مِنْ عِطْرِهِ الْكِلَاسِيكِيِّ الْمَصْنُوعِ مِنَ اللَّذَرِ وَعودِ الصَّنَدَلِ ،  
وَدَنَا إِلَى الْأَسْفَلِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبَةُ بَانْتِظَارِهِ

وَصَّى مُسَاعِدَهُ قَائِلًا لَهُ : إِعْتَنِ بِالْعِيَادَةِ فِي غِيَابِي ، وَقُمْ بِتَأْجِيلِ مَوَاعِيدِ الْمَرْضَى إِلَى  
حِينَ عَوْدَتِي .

تَسَارَعَتْ خُطَاهُ بِالْمُضِيِّ ، اسْتَوْقَفَهُ أَمَامَ الْبَابِ شَخْصٌ يُدْعَى دِيغُوو كَانَ جَالِسًا عَلَى عَتَبَةِ  
بَابِ الْعِيَادَةِ يَنْتَظِرُهُ ، كَانَ شَابًا فِي عَقْدِهِ الثَّالِثِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، عَرِيضَ الْمَنْكَبَيْنِ ..  
اقْتَرَبَ مِنَ الطَّبِيبِ حِينَ رَأَاهُ وَقَالَ :

- أَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَعَالَجَنِي فَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّكَ تَمْتَلِكُ مَصْلًا يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُبْتَهَجًا فَأَنَا أَعَانِي.

قَطَعَ الطَّبِيبُ حَدِيثَهُ وَخَاطَبَ :

- أَعْتَذِرُ مِنْكَ يَا ..

- اسْمِي دِييِغُوو

- دِييِغُوو ، إِنِّي مُتَعَجِّلُ الْآنَ سَأَتَلَقَّى عِلَاجَكَ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، وَأَكْمَلُ طَرِيقَهُ ، وَصَعَدَ  
الْعَرَبَةَ

أَوْمَأَ دِييِغُوو رَأْسَهُ إِلَى أَسْفَلَ ، فَقَدْ كَانَ مُتَشَوِّقًا لِلْمَصِلِ الَّذِي أُشْتُهِرَ فِي قَرِيَّتِهِمْ ، وَأَخَذَتْ  
عَيْنَاهُ تَتَّبِعُ الْعَرَبَةَ - وَهِيَ تَسِيرُ - وَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ قَائِلًا :

- لَا بَأْسَ ، سَأَعُودُ فِي الْغَدِ .

ونيكولاس ماضياً في طريقه يفكر في داخله ، حسناً سأتحملُ ثرثرتها "قاصداً مارسيلاً"  
، ولكنها سيدة متعاونة ومحبة للمساعدة ، أتمنى ألا تُمانع على ما أريدُ،  
مرّت بضغ دقائق ، وإذا بالعربية توقفت أمام نزل مارسيل سيمون ، ترجل منها وكان  
أنخيل في استقباله ، ألقى عليه التحية ، وسار باتجاه غرفة الضيافة ...  
التقى بالسيدة مارسيلاً

أنحني أمامها وقبل يده ، طاب يومك سيديتي قالها - وهو مبتسم - :  
- مرحباً بك أيها الطبيب ، قد طال غيابك ، ولكن أعذرك ، فقد ازدحمت عيادتك ،  
وأصبحت طبيب القرية المفضل ...

أجابها بابتسامة واثقة  
- تفضل أيها الطبيب ، سأمُرهم بإعداد قهوتك المرة  
ضحك وقال لها : إن ذاكرتك قوية ياسيدة مارسيلاً  
نعم ، إن ذلك ورثته عن أبي ، فقد كان يتذكر كل التفاصيل - وهو يبلغ من عمره  
التسعين -

أعذرنى ، أيها الطبيب نيكولاس ولكن خيراً ، ماسبب زيارتك الكريمة ؟  
- وظهرت عليها ملامح الفضول -  
- جئت إليك لأجل أمر يخص دارك التي أقيم وأعالج بها  
- قطعت كلامه ، وهل هنالك شيء قد حدث ؟ وضعت يدها على رأسها ، وأخذت تتسرع  
بالظن السيء ، هل غرقت بالماء ، أم أشعلت بها النار ، إنها لأحب الديار إلى زوجي  
الراقد في قبره ، قالت ذلك - وهي تجوب الغرفة وتصدر التهاويل - :  
- قاطعها بنبرة صوت غاضبة هلاً صمت قليلاً  
- وجّهت نظرها إليه بتعجب  
- أخفض نبرة صوته وقال : أعترض يا سيدة مارسيلاً ولكن الدار كما هي ، وكل مافي  
الأمر أنني أحتاج أن أبني بجانبها بناءً ذي مساحة صغيرة ؛ حتى أوسع العيادة فكما تعلمين  
ازداد مرتاديهما حتى من القرى المجاورة .

- قُصمت أظفارها من الاستحياء ، وعبرت عن اعتذارها ، وأجابته : حسناً إن ذلك شيء  
جميل ، ولكن لم لاتجعلهم ينتظرون بالخارج ؟  
- قال في نفسه : هذه السيدة لاتكف عن ثرثرتها ، ورفع صوته ، ولكن ياسيديتي ،  
أريد أن أقيم فيها علاجاً جماعياً ، فذلك ماكنت أقوم به في المدينة حيث أن له نتائج مبشرة  
، وكل شخص من المرضى يستفيد من تجربة من حوله ...  
قاطعته قائلة : نعم ، أعلم بذلك عندما كنت أزور الأطباء في المدينة من أجل زوجي  
، اقترح علي أحدهم أن يخوض زوجي تجارب العلاج النفسي الجماعي .



إني لسعيدٌ من أجلِ هذ سيدتي ، فقد علمتُ أنَّك ستسأنينني !  
إنه من دواعي سروري يا طبيب ، فقد جعلت قريتنا تزهو منذُ أن وطأتها! وبما أن ذلك  
سيكون في صالح أهالي قريتي فأنا لا أمانع .

وفي أثناء حديثهم دخلَ دانيال ابنُ السيدة مَارسِيلا مُسرعا يشتكي خطبًا ما ،  
أخذيرمق والدته بكلماتٍ مُتقطعة ؛ فقد عانى داءَ التأتأة أثناء الكلام ،  
استغرقت كل كلمةٍ تخرجُ من فيه بضعةً من الثواني ، ونيكولاس مُحَدِّقًا به ، وهذا شأنُ  
أطباءِ النفسِ يتسمُّون بالتدقيق والتحليل بشأن كل ما يمرُّ أمامهم ...  
انشغال دانيال بمصارعة كلماته حتى ينطقها جعله لا ينتبه لوجود أحدهم ،  
قالت له والدته :  
- اهدأ يا بُني حتى أعلم ماخطبك

لا أتااء إ إن أخذَ ينطقُ تلك الحروفَ قاصداً بذلك إن جيسيكَا قد تأخرت بالعودة إلى  
المنزل .

وفجأةً التفت ؛ وإذا به يلمحُ الطبيب ، وذلك ما أدخلَ في نفسه الصدمةَ  
دونَ أي كلمةٍ ، انصرف دانيال مُسرعا ، وكأنه يهربُ من شيءٍ ما ..  
التفتت السيدة على الطبيب مبديةً اعتذارها ، ولكن نيكولاس استأنفَ الحديثَ حولَ ماجاءَ  
لأجله قائلاً :

- أفهمُ من ذلك ياسيدة مَارسِيلا أنَّك لا تمنعين في بناءٍ مقصورة العلاج!  
- لا أبداً ، أفعُلُ ماشئتَ  
- لا أريدُ أن أُثقلَ كاهلكَ بأموري ، ولكني أحتاجُ لمُساعدتك على إيجادِ بَناءٍ ماهرٍ

..  
- حسناً ، سأخبرُ أنخيل أن يحضرَ إليك رجلَ المقاولات في قريتنا إ، وسيفعلُ ما هوَ  
مناسبٌ لك .

- لا أعلمُ كيفَ أجازي حُسنَ أفعالِكَ معي ياسيدة مَارسِيلا، وقالَ بداخله : إنَّ الفضلَ  
يرجعُ لك يا صديقي ، لقد أحسنت الاختيارَ  
أردفت له

- لا دَاعي للشكرِ ياأيها الطبيب طالما باستطاعتي فعلُ شيءٍ سأفعله .  
استأذنها نيكولاس بالرحيل وانصرفَ  
وبعدَ خروجه من المنزلِ

إذا بدانيال يقتحمُ خلوةَ والدته مرةً أخرى ، ويُعاتبُها :

- لِمَ لَمْ تُخْبِرْنِي بِأَنَّ الطَّبِيبَ قَادِمٌ ؟  
أَجَابَتْهُ :
- لَقَدْ زَارَنِي بِدُونِ مَوْعِدٍ يَا دَانِيَالُ
- الْآنَ أَخْبِرْنِي مَا بِكَ ؟ وَلِمَ أَنْتَ غَاضِبٌ ؟
- شَكَى لَهَا بِكَلِمَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ ، وَبُوجهِ مُحْمَرٍّ :
- إِنَّ جِيسِيكََا خَرَجَتْ بِرَفَقَةٍ ذَاكَ الشَّابَّ الَّذِي يَعْمَلُ فِي عِيَادَةِ الطَّبِيبِ ، وَ وَجَدَ صُعُوبَةً فِي نَظْقِ اسْمِهِ
- سَاعَدَتْهُ وَالدُّهُ قَائِلَةً :
- لَقَدْ فَهَمْتُكَ
- هَزَّ رَأْسَهُ بِنَعَمٍ
- قَدْ أَخْبَرْتَنِي بِذَلِكَ يَا دَانِيَالُ ، إِنَّهَا تُخْفِي أَمْرًا
- وَلَكِنْ كَيْفَ عَلِمْتَ ؟
- فَقَدَدْتُ تَتَبِيعَ عَمَلَاتِنِ
- بِنَبْرَةٍ صَوْتٍ عَالِيَةٍ ،
- هَذَا تَصْرَفُ خَاطِيَّ يَا بَنِيَّ
- صَمَتَ وَحَاوَلَ أَنْ يَحْبِسَ غَيْضَهُ
- حَسَنًا يَا بَنِيَّ هَدِيَّ مِنْ رَوْعِكَ ، وَبَدَاخِلَهَا شَعُرَتْ أَنَّ ذَاكَ مِنْ دَافِعِ غَيْرَتِهِ عَلَيْهَا ، فَقَدْ لَاحِظْتُ مَارَسِيْلَا انْجَذَابَ دَانِيَالٍ نَحْوَ ابْنَةِ أُخْتِهَا ؛ بِسَبَبِ تَعَامُلِ جِيسِيكََا اللَّطِيفِ مَعَ ابْنِهَا ، وَاسْتَعْلَتْ ذَلِكَ لِصَالِحِ صِحَّةِ ابْنِهَا ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ مَا كَانَتْ تُفَكِّرُ بِهِ مُؤَخَّرًا
- أَعْلَمَ مَا يُقْلِقُكَ يَا بَنِيَّ ، وَلَكِنْ مَا رَأَيْتُكَ أَنْ تَتَلَقَّى الْعِلَاجَ مِمَّا تُعَانِي مِنْهُ مِنْ صُعُوبَةِ الْكَلَامِ ؛ إِنَّهُ طَبِيبٌ مَاهِرٌ ( قَاصِدَةٌ بِذَلِكَ نِيْكُولَاس )
- تَعَالَى صَوْتُهُ ، وَحَرَكَ يَدَيْهِ ، وَصَرَخَ قَائِلًا :
- أَا أَنَا لِلَّلَّيْسِ مَمْرَرِيْبِيْبِيْبِيْضِ
- إِنَّكَ تُعَانِي مِنْ مَشْكِلةٍ أَنَا وَأَنْتَ نَعْلَمُ أَسْبَابَهَا ، وَحَانَ الْوَقْتُ لِحَلِّهَا ، فَكَّرَ بِالْأَمْرِ
- يَادَانِيَالُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْسِبَ رَهَانَ قَلْبِ جِيسِيكََا ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحَسِّنَ مِنْ حَالِكَ ، إِنَّ الْأَمْرَ سَهْلٌ
- صَمَتَ وَطَالَ صَمْتُهُ وَبَدَاخِلَهُ يَفْكُرُ بِجِيسِيكََا الَّتِي تَرَعَرَعَتْ مَعَهُ ، وَشَارَكَتُهُ مَرَا حِلَ حَيَاتِهِ كُلِّهَا ، تَذَكَّرَ حَنَانَهَا عَلَيْهِ ، وَتَذَكَّرَ عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِيَتَيْنِ الْمَمْتَلَنَتَيْنِ بِالرَّحْمَةِ ، فَقَدْ أَحَبَّهَا ، وَأَخَذَ يَخْفِي ذَلِكَ بِدَاخِلِهِ ، وَلَكِنْ بَاتَتْ مَشَاعِرُهُ جَلِيَّةً أَمَامَ مَنْ حَوْلَهُ

أيقظتُ غفوةَ خياله بحديثها ، اقتربتُ منه ، وأمسكتُ يديه - وعيناها ترقرتُ ولمعتُ -  
وقالتُ :

- سأساعدُك يا بُنيَّ بكلِّ ما أستطيعُ ، إنَّ الطبيبَ زارني اليومَ بشأنِ دارِي التي يَقُطنُ  
فيها طالبًا منِّي الإذنَ لبناءِ مبنًى جديدًا ، وإنَّ وافقتُ على العلاجِ سأجعلُ ثمنَ  
علاجِكَ ثمنَ بناءِ مقصورته  
واحتضنته وبقليها حُرقةً ، وكأنَّها تحملُ على عاتقها سعادته ...  
ولأنَّ الأمَّ تشعرُ بأبنائها ، لقد انتابَ مارسيلَا الهمَّ اتجاهِ دانيالِ ، وأمضتُ الليلةَ - - وهي  
تراقبُ عينيه وتشفقُ عليه ...  
قالَ لها:

- لاتخافي ، إنِّي لسوفَ أعتني بنفسي لأجلِكَ يا أُمِّي .  
فهلْ يلجأُ للعلاجِ من أجلِ أنْ تحبّه جيسيكا ، أو أنَّ حيلةً أخرى باتَ يُخفيها بداخله.

## ١١ بَرِيقُ الْأَمَلِ

\*\*\*\*\*

فِي كُوخِ خَشَبِيٍّ دَاخِلَ مَزْرَعَةٍ لِلْفَوَاكِهِ الْمُنْتَوَعَةِ مِنْهَا (الْيُوسُفُ أَفْنَدِي كَمَا يَعْرِفُ بِهَذَا الْاسْمِ عَلَى مَرِّ الْعَصُورِ، وَالْبَرْتَقَالِ وَالْعَنْبِ...) ذَلِكَ الْكُوخُ الْبِدَائِي تَسْكُنُهُ أُمِّي وَأَبِي مَعَ أُخْتِي التَّوَامِ مِيرِيَامَ هُنَاكَ خَزَانُ الْمِيَاهِ يَسْقِي الْمَزْرَعَةَ، وَتَشْرَبُ مِنْهُ الْعَائِلَةُ كُنْتُ طِفْلاً كَغَيْرِي مِنْ أَقْرَانِي، أَحَبُّ أُخْتِي وَتَوَأْمِي حُبًّا يَعْلُو الْوَصْفَ خَرَجْنَا مَعَ أَصْدِقَائِنَا مِنَ الْأَطْفَالِ لِلْعَبِّ تَحْتَ الْأَشْجَارِ، نَخْتَبِي هُنَا وَهُنَا، نَصْدُرُ الضَّحَكَاتِ وَالصَّرَاخَ، نَلْعَبُ لَعِبَةَ السَّبَاقِ أَوْ الْجَرِي مَنْ يَفُوزُ يَحْظَى بِالْهَدِيَةِ! امْتِطَاءُ الْخِيُولِ، كُنَّا نَرْغَبُ جَمِيعًا بِالْفُوزِ. نَسِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُرْتَدِينَ أَحْذِيَةً خَفِيفَةً، وَمَلَابِسَ خَفِيفَةً تَنْاسِبُ حَرَارَةَ الصَّيْفِ وَأَشْعَةَ الشَّمْسِ

- مَاذَا حَدَّثَ لَمِيرِيَامَ؟ مَاذَا حَدَّثَ لَهَا؟ كَيْفَ وَصَلَ إِلَيْهَا الثَّعْبَانُ؟ كَانَتْ تَرْتَدِي فُسْتَانَهَا الْقَصِيرَ بَدُونِ أَكْمَامٍ لَوْنُهُ أَبْيَضُ وَتُحْلِيهِ خُطُوطٌ طَوِيلَةٌ صَفْرَاءَ تَعَكُّسِ لَوْنِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ، لَنْ أُنْسَى أَبَدًا مَا كَانَتْ تَلْبَسُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُومِ، أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أُرْتَدِي قَمِيصًا بِاللَّوْنِ الْأَسْوَدِ، وَبَنَاطِلًا مِنَ الْقَطَنِ بِلَوْنِ الشَّجَرِ، وَلَمْ نَنْتَظِرْ نَدَاءَ أُمِّي بِدَعْوَتِنَا لَارْتِدَاءِ الْحِذَاءِ ذِي الرِّقْبَةِ الْعَالِيَةِ، فَخَرَجْنَا مَسْرِعِينَ، لِنَلْحَقَ بِبَقِيَّةِ الْأَوْلَادِ لِلْبَدْءِ بِلَعِبَةِ الْإِخْتِبَاءِ . فَذَهَبْتُ أُخْتِي تَحْتَ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، ذَاتِ أَغْصَانٍ مُتَدَلِّيةٍ، وَاخْتَبَأْتُ، نَعَمْ اخْتَبَأْتُ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مَا سَيَحِلُّ بِهَا، وَذَهَبْتُ أَنَا فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الصِّغَارِ ، انْقَضَتْ سَوِيَعَاتُ مِنَ الزَّمَنِ - وَنَحْنُ نَلْعَبُ - وَنَمْرُحُ ، وَقَارَبَتْ الشَّمْسُ عَلَى الْمَغِيبِ ، وَأَتْنَاءَ ذَلِكَ دَوَّتْ صَرْخَةٌ عَالِيَةً فِي الْمَكَانِ هَزَّتْ الْأَرْضَ !!!

رَكَضَ الْجَمِيعُ.. الْمَزَارِعُ مِنْ مَزْرَعَتِهِ، وَالرَّاعِي مِنْ عِنْدِ غَنَمِهِ، وَالْأُمَهَاتُ مِنْ فَوْقِ تَتَوَرَّ الْخَبْزِ، وَالْأَطْفَالُ مِنْ بَيْنِ الْمَرْوَجِ، حَتَّى أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْمَزَارِعِ أَصْبَحَتْ تَجْرِي بَيْنَ حَقُولِ الْقَمْحِ، وَمَزَارِعِ الْفَوَاكِهِ بَيْنَ نَبَاحٍ وَصَهِيلٍ وَثَغَاءٍ، وَتَوَجَّهْنَا جَمِيعًا إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ، وَكَانَتْ الْمَفَاجَأَةُ مِيرِيَامَ تِلْكَ الطِّفْلَةَ الْبَرِيئَةَ بَيْنَ أَنْيَابِ ثَعْبَانٍ لَيْسَ بِالْكَبِيرِ وَلَا الصَّغِيرِ، وَزُرْقَةً وَجْهَهَا يَا إِلَهِي! لَقَدْ غَرَزَ الثَّعْبَانُ أَنْيَابَهُ فِي سَاقِهَا، وَتَمَكَّنَ مِنْهَا، وَأَصْبَحَتْ

هامدةً بلا حراكٍ، تسلَّلَ إليها! سَلَبَهَا حَيَوِيَّتَهَا ونَصَارَتُهَا! لمَ يَحْتَمِلُ أَبِي أَنْ يَرَى ابْنَتَهُ تَحْتَ قُبْضَةِ أَنْيَابِ الثَّعْبَانِ فَتَقْدَمَ إِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، وَحِينَما اقْتَرَبَ وَجَدَ ابْنَتَهُ تَذْبُلُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ وَالْمَعَانَةِ ، حَمَلَ فِي يَدِهِ فَأَسَا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَبِدُونِ تَفَكُّيرٍ هَوَى بِهِ عَلَى رَأْسِ الثَّعْبَانِ ، فَفَصَلَ الْجَسَدَ عَنِ الرَّأْسِ ، وَأَمِّي تصرَّخُ ، وَالْأَطْفَالُ يَصِيحُونَ ، أَمَّا أَنَا فَدَخَلْتُ فِي نُوبَةٍ بِكَاءٍ ، وَلِسَانِي لَا يَقْتَرِ مِنْ تَرْدِيدِ اسْمِ أُخْتِي وَتَوَامِ رُوحِي بِصَوْتٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ ، وَتَقَدَّمَ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ وَنَادَى عَلَى أَبِي ، وَأَخَذَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ ؛ لِأَنَّ أَبِي فِي حَالَةٍ هَلَعٍ ! وَكَزَّهُ بَعْصًا كَانَتْ فِي يَدِهِ ؛ لِيَسْتَفِيقَ وَيَعُودَ إِلَى رَشْدِهِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ أَنْيَابَ الثَّعْبَانِ وَفِيهِ مِنْ جَسَدِ الصَّغِيرَةِ ، تَنَبَّهَ أَبِي وَحَرَرَ سَاقَهَا ، أُخْتِي وَتَوَامِ رُوحِي – وَقَدْ أَخَذَ السُّمَّ يَسْرِي فِي جَسَدِهَا – يَحَاوِلُ جَاهِدًا سَحَبَ السُّمَّ مِنْ سَاقِهَا ، وَيُلْقِي بِهِ خَارِجًا ، وَطَلَبَ قَلِيلًا مِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ ؛ لِيَضَعَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ ، هُوَ فَلَّاحٌ وَيَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ تَمَكَّنَ مِنْ تَخْلِيصِ جَسَدِ ابْنَتِهِ الْبَرِيئَةِ ، وَبَدَأَتْ تَتَكَلَّمُ لَمْ يَكُنْ كَلَامُهَا مَفْهُومًا ، بَلْ تَمَنَّمَاتٍ تُنَبِّئُ عَنْ خَوْفٍ وَالْمِ تَعَانِيهِ .

وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ عَلَى دِييَعُو التَّعَرُّقُ ، وَرَجْفَةُ الْيَدَيْنِ ، وَوَهْنَ الصَّوْتِ

أَثْنَاءَ أَدَائِهِ لَتَجْرِبَةِ مَصْلَ السَّعَادَةِ

- اهْدَأْ اهْدَأْ دِييَعُو

- لَوْ كَانَ هُنَاكَ سَبِيلٌ لِنَجَاةِ أُخْتِكَ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ الثَّعْبَانِ مَاذَا سَتَفْعَلُ؟

- آه، لَوْ كُنْتُ قَوِيًّا بِمَا يَكْفِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ لَأَنْقَضَضْتُ عَلَى ذَلِكَ الثَّعْبَانِ بِكُلِّ مَا

أَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ، وَسَلَبْتُهُ رُوحَهُ وَبَضْرَبْتُهُ وَاحِدَةً مِنْ فَاسِ أَبِي الَّذِي يَسْتَخْدِمُهُ لَتَقْطِيعِ

الْأَخْشَابِ، لَقَطَعْتُهُ إِرْبًا إِرْبًا، وَخَلَصْتُ تَوَامِ رُوحِي مِنْ بَرَائِثِ هَذَا الثَّعْبَانِ الَّذِي

سَلَبَنِي رُوحِي

أَخَذَ يَتَذَكَّرُ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ التَّوَتُّرِ وَالتَّعَرُّقِ، وَبَدَأَتْ يَدَاهُ تَرْتَجِفَانِ، وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ

تَنَبَّهَ نِيكُولَاسُ بَأَنَّ دِييَعُو بَدَأَ يَضْطَرِبُ وَتَتَغَيَّرُ نَبْرَةُ صَوْتِهِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ نَبَّهَهُ بِأَنَّ

صَفَقَ بِكُلْتَا يَدَيْهِ عِنْدَ رَأْسِ دِييَعُو حَتَّى اسْتَفَاقَ

- بِمَاذَا تَشْعُرُ الْآنَ؟

- بِمَاذَا أَجِيبُ...!، أَشْعُرُ بِرَاحَةٍ لَمْ أَشْعُرْ بِهَا مِنْ قَبْلُ، كَأَنَّ جِمْلًا قَدْ انْزَاحَ عَنْ كَاهِلِي

عِبَاءٌ عَجَزْتُ عَنْ تَحْمِلِهِ، وَيَمْسُحُ عَلَى وَجْهِهِ بِكُلْتَا يَدَيْهِ

كَأَنَّ يَتَحَدَّثُ - وَهُوَ يَشْعُرُ بِجَفَافِ حَلْقِهِ، فَيَنَاولُهُ نِيكُولَاسُ كُوبًا مِنَ الْمَاءِ

يَتَنَاوَلُ الْمَاءَ وَيَشْرَبُ بِسُرْعَةٍ، كَأَنَّهُ لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، حَتَّى أَنَّ الْكُوبَ لَمْ

يَكُنْ يَثْبُتُ فِي يَدِهِ

- آه، الْآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَنَفَّسَ دُونَ صَعُوبَةٍ فِي ذَلِكَ

وَأَصْدَرَ شَهيقًا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى قَفْصَهُ الصَّدْرِيِّ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ

- الآن فقط أستطيع أن أعيش حياةً طبيعيّةً خاليةً من الأرق والقلق، ولوم نفسي، الآن سأنامُ وأنا مُرتاح البالِ راضي النفسِ
- آه، لقد حُرمتُ من أشياء كثيرةٍ هي مهمةٌ لأيّ شابٍّ في عمري
- حُرمتُ من الدراسة الجامعيّة، حُرمتُ من أن يكونَ لي حبيبةٌ كغيري ممّن هم في عمري، حُرمتُ من تكوينِ صداقاتٍ، جرّمانِي من ميريامِ توأمِ رُوحِي أفسدَ عليّ حياتي، لكنّي الآن أشعرُ براحةٍ تسري في جسدي .
- رَبَّتْ نيكولاس على كتفِ ديبغو، وطمأنه أن كابوسَ مقتلِ أخته تحتِ أثوابِ الثعبانِ
- لنْ تعودَ إلى ذاكرتكِ السابقة، وأنك من اليوم ستولدُ من جديدٍ، تحيا مثلما تُحبُّ قبلَ الحادثة، وستحظى بكلِّ ما تتمناه، ستعودُ شابًا طبيعيًا كأقرانك
- فبيّتسُم نيكولاس ابتسامةً رضا
- فيسأله ديبغو
- ما الذي يجعلُك تبتسمُ؟
- يردُّ بكلِّ شعورٍ بالنصرِ
- أوكدُ لك بنجاحِ العلاج!!
- يفتحُ ديبغو فمه دهشةً وعجبٍ
- ماذا؟!
- ماذا تقول؟
- ماذا تقصدُ؟
- = هذا علاجٌ يسمّى تعديلُ الذاكرة!!
- فغَرَ ديبغو فاههُ
- ردَّ نيكولاس سريعًا شارحًا له
- هوَ برمجةٌ عقلِك اللاواعي، وتعديلُ أحداثٍ ماضيكِ الذي كان سببًا في إصابتك بهذا المرضِ
- شكرًا أيُّها الطبيبُ المعجزةُ

## كَشَفُ الْحَقِيقَةِ

\*\*\*\*\*

أتى اليوم الذي تشهد فيه قرية توليدو العديد من الأمور الجميلة، تحمل معها ذكريات لطيفة ومميزة.

اليوم يُصادف الذكرى السنوية لمهرجان الصيف الذي سيحتفل به جميع من في القرية وستستمر الاحتفالات وقتاً طويلاً مُمتعاً، بعد الغروب أشعلت النيران، وعلقت الزينة على الأشجار، وأسدت المفارش على الطاولات المنتشرة في المكان بشكلٍ عشوائي. الجميع مُبتَهج، يرتدون أجمل ثيابهم، مُترنين مُتعطرين مُتأهبين لاستقبال الفرح والمتعة تأقن النساء والفتيات بالأزياء المنفوشة الملونة، والذكور بالبدلات الرسمية الأنيقة.

تعاونوا جميعاً في تجهيز الاحتفال من ألعاب حركية، وكذلك الورقية، تناسب الفئات العمرية المختلفة، واستعدت الفرق الموسيقية للغناء، والأهازيج التقليدية التي يرقص عليها الجميع بطريقة عفوية. كان نيكولاس يتوسط حلقة بشرية يرقص بطريقة بهلوانية، ليس لأنه لا يعرف الرقص، بل لأن أنغامها مميزة، لم يسمع مثلها في المدينة تتميز بسرعة إيقاعه؛ فتجعل الإنسان عند سماعها يتراقص طرباً، وإن كان لا يجيد الرقص.

وفي الجهة الأخرى كان مُساعدُه يبحث عنه بين الحشود إلى أن رآه فأقبل يُناديه:  
نيكولاس أريدُ التحدث إليك

أشار نيكولاس له بالمجيء إليه، والاستمتاع بالرقص معه  
ذهب إليه وقطع دائرة المرح التي تحف نيكولاس، وأخذ يقترب من أذنه ليسمعه  
سأذهب لمقابلة جيسكا عند البحيرة

- قابلني بعد انتهاءك في ساحة العيادة، سنتحدث معاً عن افتتاح الملحق
- حسناً لن أتأخر
- استمتع بوقتكَ.

نطق بها قبل أن يتابع رقصته الغريبة

ذهب الشاب مُتَجَهًّا إلى حبيبته التي تنتظره بفارغ الصبر، غير مُباليين بالمهرجان ومن فيه  
ممن يَهْوَى اللَّهْوَ والمرح، واستغنيا عن ذلك كله بالحب فقط، قانعين بما آتاها من لذة تُغني  
عن مُتَع الحياة الدنيوية،  
كانت السماء سوداء مُتألئة بومضات نجمية أنشأت لهم احتفالاً خاصاً بهما.

- تَبْدُو أنيقاً الليلية.

ابتسم لها، وأمسك برفق خصلة شعرها المتدلّية على خدّها، ثم أرجعها خلف أذنها قائلاً  
لها:

- هل هذا اعتراف بحبك لي؟

- ماذا؟ لم أقل هذا! ... قالتها بدهشة - وهي تبتسم -

ردّ مُعللاً:

- عُيُونُ المُحِبِّ لا تَرى إِلَّا الجمالَ في حبيبها، هذا هو تأثيرُ الحبّ.

- وما هو الحبُّ كي أؤمن بتأثيره أيّها الفيلسوف؟

- الحبُّ هو كائنٌ أثيرِيّ يُولدُ من ارتباطِ رُوحَيْن، يسكنُ هذا الكائنُ جَسَدَيْهِمَا، فيُجرِدُ

القلبَ والعقلَ من إرادته ويتحكّمُ بهما كيفما شاء.

وباستحياءٍ أزاحت ببصرها نحو القوارب الصغيرة؛ لتغيّر مجرى حديثهما

- تخيلّي معي أنّ هذا القاربَ وأشارَ بيده لقاربٍ صغيرٍ أمامه.. يستطيعُ أخذك إلى أيّ

مكانٍ تريدين، إلى أين ستذهبين؟

ردّت سريعاً لأنها لطالما كانت تراوِدُها هذه الفكرةُ

- سأذهبُ إلى مدينةٍ تُولِدُ

- ولماذا هذه المدينة بالذات؟ ردّ مُستغرباً

- قرأتُ في مذكراتِ أمّي أنّ آخرَ لقاءٍ جمَعها بوالدي كانَ في مدينةٍ تُولِدُ، وبالتحديدِ

في محطةِ القطارِ حينما أرادَ الذهابَ لتأديةِ واجبه الوطنيّ الذي لقيَ حتفه فيه، أريدُ

أنّ أقرأَ مذكراتِ أمّي في نفسِ المكانِ الذي افترقا فيه للأبد، فقد ذكرتُ اسمَ المحطةِ

ورقمها وأينَ جلستُ بالتحديد، لعلّي بتواجدِي هناك يترأى لي طيفُهما.

- أعدك بأنّ أصحبك إلى توليدو بنفسِي، بلّ سنعيشُ فيها أنا وأنتِ

- حسناً، لا بأس بالأحلام

- أنا لستُ أحلمُ، سأوفي بعهدي لك وستُنبتُ لك الأيامُ.

لم يكن كلامه مقنعاً لجيسيكا، فأحلامه أكبرُ من حالتِهما المادية بالنسبة إلى قرويين بسطاء.



غداً سيفتتح نيكولاس مقصورتته، وسيستقطب العامة وليس المرضى لمشاركتهم لبعض بالحديث عن ما يُكدر معيشتهم، وسيربح أضعاف ما يربح في علاجه الأخير المُسمى "مصل السعادة"

كأنه بحديثه يريد اطمئنان جيسيكا بأن ما يكسبه نيكولاس سيعود بالفائدة المالية عليه لأنه مساعده الوحيد  
لكن لم تظهر على جيسيكا ملامح الفرح أو التفاؤل

على ذكر "مصل السعادة" أخبرني نيكولاس أن دانيال غولج من تأتاته نعم، فرحت بشفاؤه كثيراً، وقد تحدثت معي بطلاقة في المهرجان، بصراحة لم أتوقع شفاءه بهذه السرعة، فقد كان دانيال يعاني من تأتته منذ صغره، وهي فترة طويلة بالمقارنة بشاب في مقتبل العمر

حالة التأتة علاجها بسيط حتى أنه لا يحتاج إلى استخدام مصل السعادة لعلاجها منها، يحتاج إلى تمارين لتقوية عضلة اللسان، والتدريب المستمر لزيادة الثقة بالنفس من خلال تطوير مهارة الإلقاء وسط جمع من الناس.

علت تعابير التعجب على ملامح جيسيكا، منذ بدأ بشرح حالة دانيال بوصف دقيق  
- كيف عرفت هذه المعلومات عن حالته؟

رد بعد تردد واضح

- لقد شرح لي نيكولاس حالته

وقف سريعاً، وتتحى جانباً على بُعد أمتار منها صاعداً بظهره عنها هرباً من قدره.. إلى قدره الذي لا مفر منه..

أخذ يتمتم بينه وبين نفسه قائلاً:

- إلى متى سأخفي الحقيقة بقناع الزيف؟

- هل سأكمل مشواري معها كجرباء متلونة؟

- جيسيكا، سأبوح لك بسرٍ لطالما أردت البوح به في كل مرة أراك فيها، ولكن عديني

أن تحفظي السر، ولا تقاطعيني حتى أكمل حديثي..

وقفت جيسيكا هي الأخرى بكل انتباه، وشدها لذلك نبرته الجدية الحادة لم تعهدها منه قط... أخذت تمشي نحوه إلى أن سمعته يقول:

- أنا كذبت عليك وعلى الجميع

- هيّا يا بيدرو، هل هي إحدى دُعاباتك؟

- أنا لستُ الشاب صاحبَ الروحِ الشيطانيَّةِ التي أَفَلَقْتُ راحةَ القريةِ، كانتُ مسرحيةً اختلَقناها لنكسبَ ثقةَ النَّاسِ بأسرعِ وقتٍ، قَاطَعْتُهُ بانزِعَاجٍ:
- أنتَ ومَنْ؟
- أنا ونيكولاس، أنا طبيبٌ نفسيٌّ مثلهُ، وُلِدْتُ في قِسْطَالَةٍ، وأعيشُ في تُولِيدُو، ولمَ تَكُنْ مصادفةً عَملي معَ نيكولاس، فأنا وَهُوَ صَدِيقَانِ منذُ دراستِنَا في الجامعةِ، جِئْنَا إلى هُنَا لنُجَرِّبَ على أَهالي القريةِ العلاجَ الجديدَ الذي اخترعَهُ حديثًا، ولمَ يَلِقُ الموافقةَ لتجربَتِهِ من قِبَلِ الجهاتِ الصحيَّةِ في المدينةِ
- يَكْفِي إلى هذا الحدِّ، لا أريدُ سماعَ المزيدِ
- تَصَلَّيْتُ رَجُلًا جِيسِيكا عن الحركةِ، وبعدَ توقُّفٍ بِيذْرُو عن الكلامِ بأمرٍ منها.. خَارَتْ قُوَاهَا، ثُمَّ افترَشَتْ الأرضَ جالسةً - والصدمةُ أَخَذَتْ مَبْلَغَهَا مِنْهَا.
- كَانَ أَثَرُ ارتطامِ جَسَدِهَا على الأرضِ كافيًا لالتقَاتِ بِيذْرُو لها وإسراعِهِ نحوَهَا مُحَاوَلًا رَفْعَهَا عن الأرضِ.
- أَتْرَكْنِي أَيُّهَا الْمُزَيَّفُ، أَتَيْتُمُ إِلَى قَرِيَّتِنَا، وَوَثِقْنَا بِكُمْ، وَسَلَّمْنَاكُمْ أرواحَنَا قَبْلَ أَجْسَادِنَا لَتَكُونَ مَخْتَبَرًا لتجاربِكُمْ، ثُمَّ تَريدُ مِنِّي أَنْ اسامَحَكَ؟ أسامَحُكَ على خَداعِ قَرِيَّتِي أَمْ خَداعي بِوَهَمِ الحُبِّ
- أَنَا أَحْبَبْتُكَ صِدْقًا
- أَشارَتْ لَهُ بالصمْتِ بوضعِ أَصْبَعِهَا السَّبَابَةِ على شَفَتَيْهَا المبللةِ بالدموعِ، ثُمَّ أَرْدَفَتْ بصوتٍ عالٍ مُضْطَرِبٍ
- وَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَصْدَقَكَ.. صَحيحٌ؟
- أَرَجوكِ دَعِينِي أَشْرُحُ لَكَ ما حَدَثَ، وَأَعِدُّكَ بِأَنْ تَتَفَهَمِي دوافِعَنَا..
- تُجْهَزُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ بِأَقْسَى كَلِمَاتِ العَتَابِ واللومِ، لَكِنْ لَمْ تَساعِدْهَا عِبْرَاتُهَا المَكبُوتَةُ، فَقَدْ تَنَاقَلَ لِسَانُهَا، وَعَجَزَتْ عَنْ إِخْراجِ الحُرُوفِ، فَاثَرَتْ مَغادِرَةُ المَكَانِ على ذَلِكَ.
- نَهايةُ لِقَاءٍ بَيْنَهُم يَنْتَهي بِنَظراتٍ طَوِيلَةٍ، وَأَحاديثٍ لِكسبِ دَقائِقَ أَكثَرَ قَبْلَ المَغادِرَةِ.. إِلَّا هَذَا اللِقَاءَ.

## ١٣ نَهَايَةُ وَبَدَايَةُ

\*\*\*\*\*

حَمَلْ طِفْلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ.. مُتَشَبِّهًا بِكَتْفَيْهِ.. وَصَلْ إِلَيْهَا.. أَعْطَاهَا طِفْلُهُ...  
تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ.. كَبَلَتْ ظَهْرَهُ بِطِفْلِ آخَرٍ.. ضَخَمَ الْحُجْمُ.. قَالَتْ لَهُ بِكُلِّ قَسْوَةٍ..  
تَحْمِلُ بَدَانَةَ طِفْلِكَ الْجَدِيدِ.. وَارْحَلْ.

رَحَلَ بِيْذُرُو الَّذِي بَلَغَ الْحَزْنَ مَبْلَغَهُ فِي قَلْبِهِ الْمَكْسُورِ، اقْتَرَبَتْ خُطَوَاتُهُ نَحْوَ سَاحَةِ الْعِيَادَةِ،  
وَجَدَ نِيْكُولَاسَ مُمَدَّدًا فَوْقَ الْعُشْبِ مَشْغُولًا بِأَحْلَامِ الْيَقِظَةِ الَّتِي تَرَأَتْ لَهُ فِي السَّمَاءِ يَرَى  
النَّجَاحَ فِي قِمَتِهِ، يَرَى اسْمَهُ يَلْمَعُ بَيْنَ صَفَحَاتِ الصَّحْفِ، وَمَحْفُورٌ عَلَى بَابِ مُسْتَشْفَى فِي  
تُولِيدُو.

أَيْقَظَهُ مِنْ أَحْلَامِهِ صَوْتُ بِيْذُرُو الْخَافَتِ

- مَرْحَبًا

- أَهْلًا بِيْذُرُو، عَدْتَ مَبْكَرًا، الَّذِي يَرَى حِمَاسَكَ قَبْلَ رَحِيلِكَ لَنْ يَتَوَقَّعَ عَوْدَتَكَ بِهَذِهِ

السَّرْعَةِ.

لَمْ يُجِبْ، بَلْ أَلْهَمَتْهُ وَضْعِيَّةُ نِيْكُولَاسَ فِي الْإِسْتِقَاءِ إِلَى التَّمَدُّدِ بِجَانِبِهِ وَاضْعًا هُمُومَهُ الْمَتَمَثِّلَةَ  
بِطِفْلِهِ الْبَدِينِ بَعِيدًا عَنْهُ.

نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ تَذَكَّرَ عُيُونَ جَيْسِيكَ الْمَشْعَةَ بِالدَّمُوعِ كَتَلًا لُؤِ النُّجُومِ مِنْ فَوْقِهِ.  
أَرَادَ إِطْفَاءَ ضَوْئِهِ بِصَرْفِ انْتِبَاهِهِ عَنْهَا، وَالتَّرْكِيزِ مَعَ نِيْكُولَاسَ وَتَحَدَّثَ قَائِلًا:

- لَمْ أَرَكَ تَرْقُصُ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ مِنْ قَبْلُ!

- هَلْ أُعْجِبُكَ رَقْصِي؟ سَأَلْ بَابِتْسَامَةَ

رَدَّ بِيْذُرُو بَابِتْسَامَةَ عَلَى سُؤَالِهِ ثُمَّ أَرْدَفَ:

- جَدًّا

- أَلَا يَنْبَغِي لِصَانِعِ السَّعَادَةِ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا؟ أَطْلُقْ ضَحَكَاتٍ مُتتَالِيَةً بَعْدَ قَوْلِهِ هَذَا

قَابِلَهَا بِيْذُرُو بِضَحَكَةٍ أَقْرَبُ لِلتَّبَسُّمِ

- أَلَمْ تَسُرْ الْأُمُورَ مَعَكُمْ عَلَى مَا يُرَامُ؟

- سَأَخْبِرُكَ لَاحِقًا، قُلْ لِي مَا الْأَمْرُ الَّذِي تَرِيدُ مِشَارَكَتِي الْحَدِيثَ فِيهِ؟

- أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ غَدًا افْتِتَاحَ مَقْصُورَتِي، وَلَكِنَّ الَّذِي لَا تَعْلَمُهُ أَنِّي سَأُطْلِقُ الْمَرْحَلَةَ الْجَدِيدَةَ

مِنْ "مَصْلِ السَّعَادَةِ"

- مَاذَا سَتَفْعَلُ؟ وَلِمَاذَا أَخْفَيْتَ عَنِّي ذَلِكَ؟

- وقت فراغك تقضيه مع جيسيكا، أردت الاختلاء بك، وإخبارك بالتفصيل عن المرحلة الجديدة، ولم أرد أن نتكلم أثناء العمل.
- رجعت أحداث لقائه في لمح البصر، وتوقفت عند قول جيسيكا " لقد خدعت قريتي وخدعتني بالحب "
- أكمل ما المرحلة الجديدة؟
- جلس نيكولاس باعتدال ووجه جسده إلى بيدرو، ثم قال:
- في المرحلة الأولى كان مصل السعادة يؤثر على العقل اللاوعي، أما هذه المرحلة سيؤثر على العقل الواعي.
- إذن سيتجرع المريض المصل من غير تنويم
- نعم، بكامل قواهم العقلية، ولكن لن تقتصر التجربة على المرضى سيتأخ لأي شخص معافى تجربته.
- وما الهدف من ذلك؟
- متعة مؤقتة من الخيالات الجميلة المصطنعة في العقل الواعي
- لا أدري، لست مرتاحاً لهذه المرحلة، ثم تابع قائلاً:
- ألا تعتقد من المخاطرة إعطاءهم المصل دون تنويم؟، قد يؤدي ذلك إلى مضاعفات جانبية قد تهدم ما بنيته
- كان بيدرو قد تخلّى عن صيغة الجمع في حديثه؛ قد يرجع ذلك في قرار نفسه إلى ندمه على مشاركته لنيكولاس في خداع القرية حتى وإن كان هدفهم عدم الإضرار بأهالي القرية؛ لتقّتهم بنجاح المصل.
- رد نيكولاس بكل ثقة:
- قد يكون احتمال وجود مضاعفات جانبية شيء واد؛ لأن التجربة مستحدثة ومشتقة من التجربة السابقة، ولكن.. احتمال ذلك واحد بالمئة إذا تمت تجربتها قبل ذلك.
- هل تمت تجربتها على أحد؟
- نعم يا صديقي وكلي فخر أن أكون أول من جرّبها قبل أسبوع من الآن ولم يُصِبن أي مكره.
- وبماذا شعرت حينما تجرّعت المصل؟
- وهل اطلب أكثر من رؤية حبيبتي لونا ؟
- تنهّد وأخذ يصف كيف أثر المصل على عقله قائلاً:
- كنا داخل العيادة جلست بجانبني تلبس ملابس نساء أهل القرية، وأيقظتني من النوم مداعبة خصلات شعر رأسي بهدوء، ثم تحسست ملامح وجهي أقسم لك يا بيدرو أنني شعرت حينها بباطن كفها، وشممت الدهان الذي تضعه في يديها ذي الرائحة

العطريّة الفرنسيّة، وقالت لي هيّا يا عزيزي نيكولاس استيقظ تناول معي طعام الإفطار

قاطعه بيذرو بتململ

- هذا جيد، أتمنى أن تتجح مثلما نجحت تجربتك السابقة.
- أنا على يقين من هذا، وأيضاً على يقين بأنك تخفي شيئاً عني، ألم يسر موعداً مع جيسيكا على ما يُرام؟
- تنهّد بقوة ثم قال:

- أخبرت جيسيكا بكل شيء وانكشف القناع.  
تغيّرت ملامح نيكولاس فجأة إلى غضب، وأخذ يُمسك طوق قميص بيذرو جاراّ إيّاه نحوه بقوة، ثم صرخ في وجهه قائلاً:

- ماذا تقصد أجبنني هيّا؟
- أخبرتها بسبب مجيئنا إلى هنا؟،
- كيف سوّلت لك نفسك خيانة عهدنا؟ لماذا هذا التوقيت بالذات قبل بدء المرحلة الجديدة من التجربة؟

ثم زاد من حدّة صرخته قائلاً: أجبنني!

أمسك بيذرو يدي نيكولاس وأنزلها برفق

- اهداً يا صديقي، لم أستطع تحمّل إخفاء الحقيقة عنها، كل لقاءٍ معها أتلّقُ بها أكثر، أصبحت هدفي، وإسعادها غايتي، ومصيرها أن تصبح شريكة عمري، وتابع وهو يُصارع عباراته:

- لم يكن مخططاً أن أخبرها في هذا اللقاء، ولكن بعدما رأيت الحبّ في عينيها شعرتُ بالمهانة والذلّ من نفسي، وأردتُ أن تقرر جيسيكا بعد اعترافي لها هل استحقّ هذا الحبّ بصفحتها عن خطأي أم يكون الاعتراف هو قاتل الحبّ بغير رحمة؟! سواً غفرت لك أم كابرّت لن يهدأ لي بال، قد تزلّ لسانها أو تخبر أحداً، وسيكون هدم ما بنيناه على يديها وليس على يدي أيّها الأحمق.

- لا، لا أعتقد أن جيسيكا ستشفي بنا

- لم لا؟

- لأنها تحبني

- لا أتمنى نفسك بحبها بعد عدم تقبلها بحقيقتك، تمنى أن نخرج من هذه المصيبة

بسلام أفضل حلّ لذلك أن تذهب إليها غداً

- لا لأن أذهب إنها مستاءة الآن سيتطلب الأمر بعض الوقت لكي تهدأ، ومن ثمّ

أقابلها

- دَعْنِي أَكْمَلُ حَدِيثِي. لَسْتُ أَضْمَنُ عَدَمَ إِخْبَارِهَا لِأَيِّ شَخْصٍ فِي مَنْزِلِ مَارْسِيلا وَقَدْ عَادَتْ إِلَيْهِمْ حَزِينَةٌ وَمَنْكُسَرَةٌ، وَتَكُونُ فَضِيحَتُنَا عَلَى الْمَلَأِ غَدًا فِي الْمَقْصُورَةِ تَنْهَدَ ثُمَّ أَكْمَلَ قَائِلًا:
- سَتَذْهَبُ إِلَيْهَا غَدًا، وَبِأَسْلُوبِكَ هَدِيَّ مِنْ رَوْعِهَا، وَاشْرَحْ لَهَا أَنَّنَا نَرِيدُ الْخَيْرَ لِلْقَرْيَةِ، لَا تَرْجِعْ إِلَّا وَقَدْ عَاهَدْتُكَ بِعَدَمِ الْوِشَايَةِ بِنَا.
- حَسَنًا، سَأُبْذِلُ كُلَّ جُهْدِي، مَتَى سَيُمْكِنُنِي الذَّهَابُ وَالِافْتِتَاحُ غَدًا؟
- اسْتَيْقِظْ بَاكِرًا، وَاحْضُرِ الْعَصِيرَ، وَضَعْ عَلَيْهِ الْمَصَلَ، ثُمَّ وَزِّعْ مَقَاعِدَ الضِّيُوفِ عَلَى جِدْرَانِ الْغُرْفَةِ وَادْهَبْ إِلَى جِيْسِيكَ.
- سَرْتُ عَلَى بِيذُرُو أَسْوَأَ لَيَالِيهِ ابْتَدَأَهَا بِأَرْقٍ مَقِيَّتٍ، ثُمَّ كَوَابِيْسَ مَزْعَجَةٍ نَاتِجَةٍ مِنْ حَزَنِ عَمِيقٍ، وَاسْتَيْقِظَ بِجَسَدٍ مَتَعَرِّقٍ مِنْهَا.
- لَمْ يُمْكِنْ طَوِيلًا فِي فَرَاثِهِ رَغَمَ شَعُورِهِ بِأَعْيَاءٍ فِي جَسَدِهِ بَلْ فَضَّلَ النَّهَوضَ وَتَنْفِيذَ مَا طَلَبَهُ مِنْهُ نِيكُولَاسُ.
- بَدَأَ بِتَرْتِيبِ الْمَقَاعِدِ بِشَكْلِ دَائِرِيٍّ عَلَى حَافَةِ جِدْرَانِ الْغُرْفَةِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا الْجِدَارُ الرَّابِعُ فَقَدْ وَضَعَ طَاوِلَةً مُسْتَطِيلَةً مِنَ الْخَشَبِ وَفَوْقَهَا مِفْرَشٌ قَرْمُزِيٌّ، وَيَحْدُهَا خَزَانٌ كَبِيرٌ زَجَاجِيٌّ يَمْلَأُ أَرْبَعِينَ كَوْبًا، وَضَعَ بِيذُرُو فِيهِ عَصِيرَ الْبَرْتِقَالِ بَعْدَ عَصَرِهِ يَدَوِيًّا، وَمِنْ ثَمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ عَشْرِينَ مِلِيلْتَرًا مِنْ مَصَلِّ السَّعَادَةِ..
- انْتَهَى مِنْ تَرْتِيبِ الْمَكَانِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ نِيكُولَاسُ وَصَعَدَ إِلَى غُرْفَتِهِ لِيَسْتَحِمَ.

## أَلَمْ بَلَا مَوْعِدٌ

\*\*\*\*\*

قَرَّرَ دَانِيَالُ الزَّهَابُ إِلَى جِيسِيكََا وَإِخْبَارُهَا بِرَغْبَتِهِ الشَّدِيدَةِ فِي الزَّهَابِ مَعَهَا لِفَتْتَاحِ  
الْمَقْصُورَةِ.

نَهَضَ مِنَ السَّرِيرِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرَاةِ، وَوَقَفَ أَمَامَهَا بِجَسَمِهِ الرَّشِيقِ، وَكَتَفِيهِ الْعَرِيضَتَيْنِ،  
تَأَمَّلَ شَكْلَهُ، ثُمَّ أَبْعَدَ شَعْرَهُ الْأَسْوَدَ إِلَى الْخَلْفِ.  
ابْتِسَامَةً دَافئةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَرْحَبًا جِيسِيكََا كَيْفَ حَالُكَ؟؟  
إِنَّهَا مَمْلُةٌ سَاعِيذُهَا مَرَّةً أُخْرَى، نَظَرَ إِلَى عَيْنِيهِ مُبَاشِرَةً، فَإِذَا بِعَيْنَيْهِ الْعَسَلِيَّتَيْنِ تَلْمَعَانِ، كَانَتْ  
نَظَرَاتُهُ جَرِيئةً، وَالْحُبُّ فِي عَيْنِيهِ وَاضِحًا أَخَذَ نَفْسًا عَمِيقًا وَأَرْدَفَ:  
مَرْحَبًا جِيسِيكََا كَيْفَ حَالُكَ؟!

- يَسْرَنِي قَدُومُكَ مَعِيَ الْيَوْمَ سَأَكُونُ سَعِيدًا بِوُجُودِكَ.  
كَمَا أَنَّكَ تَعْلَمِينَ جَيِّدًا بِأَنِّي أَتَقَاعَلُ وَأَعْتَبِرُكَ قُوَّتِي وَمِصْبَاحِي الَّذِي لَا يَنْطَفِئُ.  
صَمْتُ قَلِيلًا... ثُمَّ قَفَزَ وَشَكَلَ قَبْضَةً بِيَدِيهِ الْاِثْنَتَيْنِ مُتَمَتِّمَا أَجَلَ أَجَلَ كَانَتْ رَائِعَةً.  
خَرَجَ مِنْ غُرْفَتِهِ مُودِعًا وَالدَّتْهُ السَّيِّدَةُ مَارْسِيَلَا، تَمَنَّتْ لَهُ التَّوْفِيقَ، وَالتَّحْلِيَّ بِالشَّجَاعَةِ ثُمَّ  
قَالَتْ: إِنِّي فَخُورَةٌ بِكَ حَقًّا.  
زَهَبَ إِلَى غُرْفَةِ جِيسِيكََا بِأَنْهَى حُلَّةٍ، وَكَانَ شَدِيدَ الثِّقَةِ بِنَفْسِهِ.  
لَقَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ نَفْسِهِ لِلْأَفْضَلِ، كَانَ دَانِيَالُ يَرِغُبُ بِشَدَّةٍ فِي تَغْيِيرِ نَفْسِهِ؛  
لِيَكْسِبَ حِلْمَ حَيَاتِهِ جِيسِيكََا.

- ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ وَقَالَ: مَرْحَبًا هَلْ تَأْذِنُ لِي بِالْدُخُولِ؟  
كَانَتْ جِيسِيكََا مُتَعَبَةً مِنَ الْبَارِحَةِ، وَمَا سَمِعَتْهُ مِنْ بَيِّدُرٍ.  
لَمْ تَسْتَطِعْ النَّوْمَ جَيِّدًا؛ فَقَدْ كَانَ جُلُّ تَفْكِيرُهَا كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيْهَا!!  
قَالَتْهَا بِصَوْتٍ خَائِقٍ، وَمَلَامَحَ شَاحِبَةٍ، وَنَظَرَاتٍ عَيْنِيهَا الذَّابِلَةِ.  
- أَجَلَ دَانِيَالُ تَفْضُلُ بِالْدُخُولِ ... كَيْفَ حَالُكَ؟  
- بَخِيرٍ، وَلَكِنْ مَا خَطْبُكَ مَا الَّذِي أَصَابَكَ؟  
- لَا شَيْءَ لَا تُبَالِي، ثُمَّ ابْتِسَامَةً دَافئةً لِتَوَهِّمَهُ بِأَنَّهَا كَعَادَتِهَا  
- أَشْكُرَكَ عَلَى اِهْتِمَامِكَ، لَا تَقْلَقْ، أَنَا بِخَيْرٍ  
- أَمَلْ ذَلِكَ، إِذْنًا مَا رَأَيْتُكَ بِنَزْهَةِ الْيَوْمِ، سَنَذْهَبُ إِلَى افْتِتَاحِ الْمَقْصُورَةِ، رُبَّمَا يَتَحَسَّنُ  
مَزَاجُكَ لِلْأَفْضَلِ.

ارْتَبَكْتَ جِيسِيكََا، وَتَخَبَّطْتَ بِالْكَلَامِ، ثُمَّ نَظَرْتَ إِلَى الْأَسْفَلِ مَمْسِكَةً بِيَدِهَا مِسْتَاءَةً، عَلِمَتْ مَنْ  
سَيَكُونُ مِنْ ضَمَنِ الْحَاضِرِينَ، وَمَا إِنَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا تَغْيِيرَتْ مَلَامَحُهَا. وَقَالَتْ مَبْتَسِمَةً:  
- اَعْتَذِرْ يَا دَانِيَالُ، لَا طَالَمًا أَحْبَبْتُ رُؤْيَاكَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ، وَبَيْنَ أَصْدِقَائِكَ.. تَخَاطَبُهُمْ  
بِكُلِّ ثِقَةٍ وَطَلَاقَةٍ، وَلَكِنْ اَعْتَذِرُ بِشَدَّةٍ، أَتَمَنَّى لَكَ التَّوْفِيقَ.

تأمل دانيال كلامها، وأحس بالاستياء؛ لعدم حضورها، وعلم بأن جيسيكا ليست على طبيعتها

ثم رحل- وهو يشعر باليأس - لقد تمنى حضورها، ولكنه طُبطب على نفسه قائلاً: لا بأس يا دانيال إنها مسألة وقت، وستكون جيسيكا بين ذراعيك.

أتت إيزابيلا إلى غرفة جيسيكا بعد مغادرة دانيال بساعة، قرعت الباب مستأذنة - هل تسمحين لي بالدخول؟!

ردت جيسيكا بصوت هادئ:

- نعم يمكنكِ الدخول.

ثم تتهددت تهيدة - وهي تخاطب نفسها قائلة: لا أعلم ماذا حل بي؟ وبماذا عقلي يفكر الآن؟ إنني لا أفهم حقاً ولا أعلم ما هو الصواب؟ أمل أن ينتهي هذا اليوم التعيس. طال صمت جيسيكا - وهي تقرقع أصابعها - وتتنظر إلى نافذة غرفتها شاردة الذهن، لاحظت عليها إيزابيلا، ثم سألتها متعجبة:

- ما بك يا جيسيكا منذ البارحة وأنت لستِ على طبيعتك، ماذا جرى ما الذي أصابك؟

- لا شيء، لم يصنني شيء حتى الآن، ولكنني مشوشة قليلاً، سأعود كما كنت لا تقلقي.

- حسناً عزيزتي، لا تفكري كثيراً كل شيء سيعود كما كان.

بالمناسبة بيدرو يريد مقابلتك.

- ماذا بيدور ماذا؟ ولكن.. ثم همست في داخلها بيدرو الكاذب الذي جعلني أسلم أهل

قريتي له ولصديقه المقرّب المدعو بنيكولاس يا لحماقتي!!

- أين سرّ خيالك؟ نظرت إليها وهي تضع قدمها اليسرى فوق اليمنى، و أشاحت بوجهها عنها قائلة: لن أخرج من هنا إلا بعد أن أضمن موافقتك لمقابلة بيدرو.

رمقتها بنظرة حادة، لن يحدث ذلك لا تتعبي نفسك!!

- ولكن لماذا يا جيسيكا أرجوك واقفي أتوسل إليك لقد وعدته، وأكدت عليه بأنني

سأجعلك توافقين، وهو الآن ينتظرك في الأعلى

- لماذا ترفضين لقد كنت ترافقيه في نزهة؟ ماذا حصل الآن؟!!

قالت الكثير من الكلام، وكانت جيسيكا تُنصت إليها- وقلبها ممزق - تكاد تنزعها، ولكنها تتحمل ولا تستطيع إخبار إيزابيلا بما صارحها به بيدرو، ابتلعت ريقها وهي تنظر إليها ما إن همّت إخبارها بالحقيقة.. سمعوا صوت صرخة قوية من الغرفة المجاورة. ارتجفت جيسيكا من الصوت، وركضت بسرعة، ولحقها إيزابيلا خائفة.. بمجرد دخولهم إلى الغرفة.

رأوا السيدة مارسيلاً ملاقة أمام الباب، وتضع يدها على صدرها، صرخت إيزابيلا صرخة قوية، ثم صرخت مجدداً باسم بيدرو، وركضت بالذهاب إليه؛ لتطلب المساعدة، تجمدت جيسيكا، وسقطت أرضاً، ثم أمسكت بيدي السيدة مارسيلاً لتحركها، قائلة: أرجوك أفيقي، هيا هيا نحن بحاجة إليك لا تتركينا،



ثُمَّ أَتَى بِيذُورٌ مُسْرِعًا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عُنُقِهَا، وَكَانَ نَبْضُهَا ضَعِيفًا جَدًّا، قَامَ بِالضَّغْطِ عَلَى صَدْرِهَا عِدَّةَ مَرَاتٍ قَائِلًا: هَيَا هَيَا .. نَظَرَتْ إِلَيْهِ جِيسِيكََا وَالْغَضَبُ يَسْكُنُ عَيْنَهَا، ثُمَّ أَبْعَدَتْ النَّظَرَ لَتَلْتَقِيَ عَيْنَاهَا بِعَيْنِي إِيزَابِيلَا - وَهِيَ تُحَلِّقُ بَوَالِدَتِهَا دُونَ حِرَاكِ -

قَالَتْ لَهَا جِيسِيكََا: انْظُرِي إِلَيَّ.. هَيَا انْظُرِي مَا إِنَّ نَظَرَتْ إِلَى جِيسِيكََا إِذَا بَدَمَوْعَهَا تَسْقَطُ، تَرْحَفُ جِيسِيكََا إِلَيْهَا وَتَضُمُّهَا مُوَاسِيَةً لَهَا بِأَنَّ وَالدَّتْهَا بِخَيْرٍ وَسَتَفِيقُ، رَمَشَتْ وَبَدَأَتْ بَفَتْحِ عَيْنَيْهَا بِبَطْءٍ، ثُمَّ صَوْتُ بِيذُورٍ أَجَلَ، وَصَوْتُ السَّيِّدَةِ مَارَسِيَلَا وَهِيَ بِالْكَادِ تَصْدُرُ صَوْتًا، كَانَ صَوْتُ سَعَالِهَا مَا طَمَأَن قُلُوبَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِيزَابِيلَا لِتَحْضُرَ كُوبًا مِنَ الْمَاءِ وَعِنْدَ عَوْدَتِهَا هَمَّتْ أَنْ تَعْطِيَهُ لَوَالِدَتِهَا، وَلَكِنْ بِيذُورٌ قَدْ مَنَعَهَا مِنْ إِعْطَائِهَا.

قَالَ مُحْذِرًا: بِمَجْرَدِ إِعْطَائِكُمْ لَهَا الْمَاءِ سَتَسْوِءُ حَالَتِهَا، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ بِتَرْطِيبِ فَمِهَا، إِنَّهَا بِخَيْرٍ الْآنَ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ اصْطِحَابِهَا إِلَى الْمَشْفَى؛ لَكِي نَطْمِنَنَّ عَلَيْهَا

- هل عانت من نوبة قلبية قبل الآن؟
- ردت إيزابيل: نعم عانت من نوبات متكررة، ولكن في الحقيقة ...
- قاطعتها جيسيكَا كَانَ لَدَيْهَا مَوْعِدًا مَعَ الطَّبِيبِ فِي مَدِينَةِ مَالْقَه، وَلَكِنْ لَمْ تَذْهَبْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا شَعُرَتْ بِالتَّحَسُّنِ، وَكَانَتْ تَرِيدُ وَبَشَدَةً حُضُورَ مَهْرَجَانِ الرَّبِيعِ، قَالَتْهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً وَدُونَ النَّظَرِ إِلَيْهِ.
- اسْتَطَرَدَّ بِصَوْتٍ حَادٍّ: يَجِبُ أَنْ تَعْرِفِي بِأَنَّ مَوْعِدَ الْمَشْفَى مَهْمٌ، وَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَهَاوَنَ، هَيَا إِلَى الْمَشْفَى.
- انْتَظَرُ قَلِيلًا وَالدَّمُوعُ تَكَادُ تَجْفُ عَلَى خَدَيْهَا الْوَرْدِيَيْنِ: لَحْظَةً مِنْ فَضْلِكَ سَأَجْمَعُ لَهَا بَعْضَ مِنَ الْمَلَابِسِ لَنْ أَتَأَخَّرَ.
- جِيسِيكََا أَرْجُوكِ أَخْبِرِي السَّائِقَ بِأَنْ يَسْتَعِدَّ.
- قَالَتْ وَالْقَلْبُ يَحْتَوِيهَا وَالْحَزَنُ فِي عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِيَتَيْنِ: سَأَذْهَبُ مَعَكُمْ.. اسْتَطَرَدَّتْ إِيزَابِيلَا:
- وَجُودُكَ يَا جِيسِيكََا لَنْ يَغْيِرَ شَيْئًا، لَا بَدَّ أَنْ تَبْقَى هُنَا.
- رُبَّمَا يَأْتِي دَانِيَالٌ وَلَا يَجِدُ أَحَدًا فِي الْمَنْزِلِ.
- سَيَهْوُنُ بِقَاوُكِ عَلَى دَانِيَالٍ، وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا تُخْبِرِيهِ بِمَا حَصَلَ لَوَالِدَتِي.. سَيَقْلُقُ كَثِيرًا.
- وَأَفَقْتُ جِيسِيكََا بِالْبَقَاءِ فِي الْمَنْزِلِ وَسَأَلْتُ:
- وَمَاذَا سَأَخْبِرُهُ إِنْ سَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ مَغَادِرَتِهَا؟
- اسْتَطَرَدَّتْ،
- أَخْبَرِيهِ.. شَعُرْتُ وَالدَّتِي بِتَوْعَكٍ مُفَاجِئٍ وَقَرَّرْنَا الذَّهَابَ بِهَا إِلَى الْمَشْفَى، وَسَوْفَ أُوَافِيكَ بِكُلِّ مَا يَحْدُثُ لَهَا، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْكُمْ سَأُبْلَغُكُمْ.
- حَسَنًا إِيزَابِيلَا لَا تَقْلُقِي لَنْ يَشْكَ بِذَلِكَ.
- رَفَعَ ذِرَاعَيْهَا بِبَطْءٍ، وَحَمَلَتْ نَفْسَهَا السَّيِّدَةَ مَارَسِيَلَا، وَاسْتَدْتَدَّتْ عَلَيْهِ لِمُسَاعَدَتِهَا عَلَى الْوُقُوفِ، وَأَمْسَكَ بِهَا جَيِّدًا الطَّبِيبُ بِيذُورٌ وَالَّذِي كَانَ حَذْرًا فِي مَشْيَتِهِ حَتَّى خُرُوجِهِمْ مِنَ الْمَنْزِلِ، كَانَ السَّائِقُ أَمَامَ بَابِ الْمَنْزِلِ مُبَاشِرَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَى بَابِ الْعَرَبَةِ، فَتَحَ لَهَا الْبَابَ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِهَا مُجَدِّدًا وَسَاعَدَهَا عَلَى الرُّكُوبِ.

قَدِمْتُ جِيسِيكَا وَالْحَزَنُ يَمْلَأُ وَجْهَهَا قَائِلَةً بِصَوْتِ خَانِقٍ:  
- اعْتَنِي بِنَفْسِكَ.  
- أَوَمَأْتُ السَّيِّدَةُ مَارَسِيلاً بِرَأْسِهَا  
ابْتَعَدْتُ جِيسِيكَا عَنِ الْعَرَبَةِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى بِيدُورٍ قَائِلَةً:  
- أَشْكُرُكَ عَلَى مَسَاعِدَتِكَ.  
- رَدَّ: لَا شُكْرَ عَلَى وَاجِبٍ، وَأَكْمَلْ إِنْ أَرَدْتَ مَسَاعِدَتِي فِي أَيِّ شَيْءٍ فَلَا تَتَرَدَّدِي.  
- اسْتَطَرَدْتُ بِلَا مَبَالَاةٍ، لَا أَحْتَاجُ مَسَاعِدَتَكَ.  
نَظَرَ إِلَيْهَا مَتَسَائِلًا:  
- لِمَاذَا تَتَصَرَّفِينَ وَكَأَنَّنِي غَيْرُ مَرْنِي؟  
تَوَقَّفِي أَرِيدُ التَّحَدَّثَ مَعَكَ.  
عَادَتْ جِيسِيكَا إِلَى الْمَنْزِلِ؛ لَتَثَبَتْ لَهُ بِأَنَّهُ كَذَلِكَ.  
شَعُرَ بِيدُورُ بِالْحَرَجِ مِنْ تَصَرُّفِهَا، ثُمَّ تَمَالَكَ الْوَضْعُ قَائِلًا: مَعَهَا كُلُّ الْحَقِّ فِي التَّصَرُّفِ مَعِيَ  
هَكَذَا.  
ثُمَّ أَشَارَ بِيدُورُ لِسَائِقِ الْعَرَبَةِ: هِيَائِنْتَحَرَكْ.

## العلاج الجماعي

\*\*\*\*\*

اجتمع جمعٌ غفيرٌ من أهالي قرية قشتالة والقرى المجاورة لها أمام عيادة نيكولاس الذي خرج لهم بكامل أناقته، وكان وجهه مفعماً بالبهجة  
أرجب بكم جميعاً أيها الحاضرون، قد حملت نفسي مسؤولية سعادتكم وقطعت وعداً لأجلكم، واليوم أهني نفسي وأهنئكم على افتتاح مقصورتَي الجديدة وأشار بيده إليها، كان بناءً أصغرَ بقليل من عيادته، كان ملاصقاً لها، وضع على بوابته شريطاً أحمر في وسطه عُقدةً محشوةً بالزهور، وأشعل حول بنائه الجديد قناديل مضيئة، وعلقها على الأسوار وعلى أغصان الشجر، جهز المكان وكأنه سيزف عروساً، ولكن اليوم عرسنا جماعي .. نادى عليهم اقتربوا لنقطع سوياً شريطنا الأحمر، ونجعل خطانا تقترب من السعادة تناول نيكولاس من طفلة صغيرة كانت بجانبه تحمل وسادةً مُخمليةً يتوسدها المقص، قص الشريط، وابتسامة ارتسمت على وجهه، وصفق له الجميع، وأطلقت المزامير، ونثر الورد المجفف، دخل مقصورته المربعة، كانت النوافذ تتوسط جميع جدرانها، وعلقت ستائر بيضاء طويلة، كانت تتمايل من الهواء.  
دعاهم للدخول، قائلاً:

- هنا سأقيم معكم تجربة علاج جماعية ستجلسون هنا، مُشيراً إلى مجموعة من المقاعد الخشبية، نُظمت بشكلٍ حلقي تتوسطها طاولة خشبية.

طلب منهم قائلاً:

- من منكم سيتطوع لتجربة العلاج، أحتاج لمجموعة أشخاص، وأنا سأكون معكم،

تقدم منه المتطوعون، كان أكثرهم ذكوراً والباقي سيدات

- أريد منكم أن تلتزموا مقاعدكم حتى نبدأ رحلتنا العلاجية

انصرف البقية والفضول رسخ في نفوسهم ممّا سيحدث

أخذ نيكولاس يحكي لهم أن تلك الخطة كنا نُجريها في المدينة، حيث يجتمع مجموعة من الأشخاص لا يعرفون بعضهم مع طبيبيهم النفسي، ويقومون بتبادل الحديث عن ذواتهم وما بداخلها، لا يهتم من أنتم ولا أسمائكم، ولا حتى مؤهلاتكم فقط نود الاستماع إلى أرواحكم.

أريد منكم كسر الحواجز، والتكلم بكل شفافية، وسنكون جميعنا مُنصتين

- استترد الجميع يُبدون حماسهم لبدء التجربة، كل منهم أتكأ على مقعده،

أغلق نيكولاس الباب قائلاً:

- الآن سأحضر لكم الضيافة، حتى نتجاذب أطراف الحديث بكل متعة.

توجه نيكولاس إلى الطاولة الخشبية، وهو يوجس لنفسه حان وقت الجرعة، تناول الوعاء، وسكب العصير في الكؤوس الزجاجية المترصة على الطاولة الخشبية، قام بتوزيعها على الحاضرين.

اتخذ مكانه في وسطهم  
وبدا بالحديث:

- أعلم أن لكل منكم قصة تربعت في أعماقه، وجعلت حاضره يتعثر في ماضيه،  
وأسرفت بداخلكم الذكريات المؤلمة، لذلك تحدثوا دون توقف أخرجوا ما

بجعبتكم من حكايات.

أنصتوا له وهم يرتشفون شرابهم

تكلم نيكولاس في داخله وهو ينظر إليهم:

- إنكم تقبضون على السعادة بأيديكم

وقاطع خياله حديث أحدهم

تحدث أحد المتواجدين، كان رجلاً وسيماً يرتدي بدلة من الطراز الفرنسي، شعره رمادي اللون، ما أضاف لشخصيته وقاراً، أخفض عينيه إلى كأسه وقال:

- أنا وحيد، والعجب في ذلك أنني لا أقبل أن يكون لي أصدقاء، وأنا أتهرب من  
الصدقة حتي مضى بي العمر وأصبحت في الأربعين من عمري بلا أصدقاء، لدي  
خوف ورهبة من اقتراب الناس، حتى تقطعت بي السبل، وما أنا بمفرد.

قال له نيكولاس:

- هل تعرضت لصدمة في ماضيك من أحدهم مما جعلك تهاب الصداقة؟

- نعم كان لي صديق كنا نعمل سوياً في الصيد، في أحد الأيام كان الجو عاصفاً،  
وكان صديقي يتصف بروح المغامرة، حرك القارب، وأخذ يقنعني بالصيد رغم أن  
الطقس لم يكن مناسباً، فتبعته - وأنا خائف - تو سطنا الماء، فزادت سرعة الرياح،  
وفقدنا السيطرة على التجديف، وانقلب بنا القارب، رأيت يغرق أممي ولم أستطع  
مساعدته، قالها واختنق صوته:

حاول أن يحبس بكائه وأكمل:

- من يومها لم يعد لي أصدقاء، وأخاف أن أصاحب أحدهم ويفارقني.

تعاطف الجميع معه واحتبست الدموع في أعينهم

صدر صوت أنثوي متقطع لسيدة تضع قطتها على رجليها وقالت:

- زوجي دائماً يلومني على شيء لم يكن بإرادتي، فأنا لم أختار أن أكون عاقراً،  
وأخذت تداعب قطتها وتقول: لقد وضعت عاطفتي كلها لمونيكا مشيرة إلى قطتها  
قطع حديثها شاب أصهب البشرة قصير القامة، وضع يده على قلبه وتأمل في عيون  
الحاضرين وقال:

- لازالت تسكن هنا وما زال قلبي ينفطر من أجلها عجباً، كيف أحبها وهي خائنة، إن

الحب مكر يفقد الشخص تمالكه، وينفيه إلى ضفاف الخذلان.

عندما ذكر الحب والفراق ارتسم خيال لونا أمامه، وكان أكثر الحاضرين تعاطفاً مع هذا  
الشاب.

حدث نيكولاس ذاته إنني لأعلم مرارة الحب، وما فيها من ألم، وقرر أن يتناول كأساً من  
البرتقال حتى يشعر بالسعادة، فقد أفحمته ذكراه.

وَإِذَا بِالرَّجُلِ الَّذِي فَقَدَ صَدِيقَهُ يَهْرَعُ مِنْ مَكَانِهِ مُحْتَضِنًا مَنْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ وَأَخَذَ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ:  
- هَيَا نَرْقُصْ وَكَأَنَّنَا فِي حِفْلٍ مَحْمَلِي، ضَحَكَ الْجَمُوعُ وَتَعَالَتْ أَصَوَاتُهُمْ  
وَإِذَا بِالسَّيِّدَةِ الْفَاقِدَةِ لِلْأُمُومَةِ تَحْمِلُ قِطْنَهَا وَتَمْرَجُهَا فِي ذِرَاعَيْهَا، وَتُغْنِي لَهَا تَهْوِيدَةَ  
الطُفُولَةِ:

لِي طِفْلةٌ جَمِيلَةٌ فِي شَعْرِهَا جَدِيلَةٌ، كَانَتْ تُغْنِي وَتَضْحَكُ وَتَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا  
وَكُلُّ مَنْهُمْ اسْتَحْضَرَ مَا تَمَنَاهُ، وَجَعَلَهُ وَاقِعًا، وَظَهَرَ تَأْثِيرُ الْمَصْلِ فِي أَجْسَادِهِمْ،  
وَأَخَذُوا يَتَرَقَّصُونَ  
أَمْسَكَتْ فَتَاةٌ بِيَدِ نِيكُولَاسَ لَتَرْقِصَ مَعَهُ، فَقَدْ اسْتَحْضَرَتْ فِيهِ رُوحَ خَطِيبِهَا الْمَقْتُولِ فِي  
الْحَرْبِ، وَأَمْسَكَتْ خَصِرَهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى كَتِفِهِ وَتَرَنَّا عَلَى مُوسِيقَى خِيَالِهِمْ.  
كَانَ مِنْهُمْ مَنْ رَمَى الْكُؤُوسَ الزُّجَاجِيَّةَ مُرِيدًا  
- سَأَحْطِمُكُمْ أَيُّهَا الْمُنْتَمِرُونَ وَسَأَطْحَنُكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي.  
تَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْبَاقِينَ، وَأَخَذُوا يُحْطِمُونَ الْكُؤُوسَ، وَيَدُوسُونَهَا مُقَهِّقِينَ وَضَاحِكِينَ  
وَسَاخِرِينَ.

سَخَرُوا مِنْ أَحْزَانِهِمْ وَأَيَّقَظُوا الْهَزْلَ بِدَاخِلِهِمْ.  
إِنَّ سَعَادَتَهُمْ كَانَتْ مُتَعَطِّشَةً فَقَدْ كَانَ الْبَذَخُ وَاضِحًا فِي ضِحِكَاتِهِمْ  
تَحَوَّلَتْ جَلْسَةُ الْعِلَاجِ إِلَى صَالَةٍ حَافِلَةٍ بِالرَّقِصَاتِ وَالضَّحِكَاتِ، تَعَالَتْ أَصَوَاتُهُمْ وَكُلُّ مَنْهُمْ  
سَبَّحَ فِي أَحْلَامِ يَقْظَتِهِ.  
تَبَادَلُوا الْأَحَادِيثَ السَّاخِرَةَ وَتَمَازَحُوا مَعَ أَقْرَانِهِمْ، وَبَاتُوا فِي أَهَازِيهِمْ يَطْمَحُونَ.

١٦  
أَتَقَلَّ الْكِتْمَانَ قَلْبُهُ

\*\*\*\*\*

امْتَلَأَتْ الْأَرْجَاءُ بِصَوْتِ عَذْبٍ، كَانَتْ تُغْنِي وَتَرْقُصُ بِخَفَّةٍ مَرْتَدِيَةً ثَوْبَهَا الْمُزْهَرَ  
الْمُنْسَابَ عَلَى جَسَدِهَا النَاعِمِ، تُدَاعِبُ أَغْصَانَ الشَّجَرِ بِرَفَقٍ، أَخَذَتْ تَقْطِفُ الْبَرْتَقَالَ الْمُتَدَلِّيَ  
وَتَنْفُضُ عَنْهُ الْغَبَارَ كَيْ يَلْمَعَ، مَاسِكَةً بِيَدِهَا سَلَةً مَتَوَسِّطَةً الْحَجْمِ بِهَا مَفْرَشُ زَهْرِيٍّ.  
تَقْفُ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا؛ لَتَسْتَطِيعَ قَطْفَ الثَّمَارِ، وَإِذَا اسْتَعَصَى عَلَيْهَا الْأَمْرُ  
تَهْزُ الْأَغْصَانَ؛ لِيَتَسَاقَطَ مِنْهُ ثَمَرًا جَنِيًّا.  
مَلَأَتْ سَلَتَهَا، وَتَوَسَّطَتْ الزَّرْعَ، وَقَطَفَتْ زَهْرَةً بَرِيَّةً، وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُهَا وَسَافَرَتْ بِخَيَالِهَا إِلَى  
مَحْبُوبِهَا - وَكَانَتْ هَائِمَةً فِي هَوَاجِسِهَا -  
وَإِذَا بِشَخْصٍ يَقْتَرِبُ مِنْهَا بِتَسْلُلٍ! سَمِعَتْ وَقَعَ أَقْدَامِ تَحْرُكِ حَشَائِشِ الْأَرْضِ  
الَّتِ قَفَّتْ إِلَى الْخَلْفِ، وَإِذَا بِهَا تَرَى دَانِيَالَ مَاثِلًا أَمَامَهَا  
- مَاذَا أَتَى بِكَ هُنَا يَا دَانِيَالَ؟ وَلِمَ لَا تَصْدُرُ صَوْتًا؟ لَقَدْ أَخَفَّتَنِي  
- عُذْرًا جِيسِيكَ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَظُنُّكِ هُنَا بِرَفَقَةٍ ذَلِكَ الشَّابُّ قَاصِدًا بِيَذْرُو  
اقْتَرَبَ مِنْ سَلَةِ الْبَرْتَقَالِ وَالتَّقَطَّ مِنْهَا بِرَتْقَالَةٍ، وَأَخَذَ يَرْمِيهَا لِأَعْلَى وَمِنْ ثَمَّ يَلْتَقِطُهَا وَ  
يَنْظُرُ إِلَى جِيسِيكَ ثُمَّ خَاطَبَهَا  
- إِنَّ بِيَذْرُو مَحْظُوظٌ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لَهُ أَنْصَجَ الثَّمَارِ وَأَجُودَهَا قَالَهَا وَهُوَ يَبَادِلُهَا نَظْرَاتٍ  
مَرِيبَةٍ.  
- دَعَكَ مِنْ هَذَا وَأَخْبِرْنِي كَيْفَ حَالُ خَالَتِي؟ يَبْدُو أَنَّ الْمَدِينَةَ أَعْجَبَتْهَا فَقَدْ مَضَى عَلَى  
رَحِيلِهَا أَسْبُوعَيْنِ.  
- إِنَّهَا بِخَيْرٍ وَتَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ هُنَاكَ، سَأُصَحِّبُكَ مَعِيَ، وَنَذْهَبُ إِلَيْهَا وَنَقْضِي أَوْقَاتًا  
مَمْتَعَةً مَعًا حَتَّى لَا تَشْعُرِي بِالْمَلَلِ بِمَفْرَدِكَ هُنَا.  
- لَا دَاعِي لِذَلِكَ أَنْخِيلَ وَزَوْجَتُهُ يَعْتَنِيَانِ بِي جَيِّدًا وَلَا يَتْرَكُونَنِي أَبَدًا.  
- إِنِّي لَا أَشُكُّ أَنَّ وَرَاءَ مُكُوثِكَ هُنَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تَبْتَعِدِي عَنِّي بِيَذْرُو  
اقْتَرَبَ مِنْهَا وَبَدَأَ الْعِرْقُ يَنْصَبُّ مِنْ جَبِينِهِ  
- إِنَّ هَذَا الْبَرْتَقَالَ لِأَجْلِهِ صَحِيحٌ! وَنَبْرَةٌ صَوْتِهِ أَخَذَتْ تَتَعَالَى  
- لَا يَا دَانِيَالَ مَا هَذَا الْهَرَاءُ؟  
اِحْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ وَتَعَالَتْ أَصَوَاتُهُمَا  
- أَتَظَنِّينَ أَنَّيَا جِيسِيكَ لَمْ انْتَبِهْ لَغِيَابِ بِيَذْرُو عَنْ يَوْمِ افْتِتَاحِ الْمَقْصُورَةِ!  
أَيْنَ كَانَ يَا تُرَى؟  
هَيَّا أَجِيبْنِي وَصَوْتُهُ حَادٌّ وَغَاضِبٌ وَعَقْدَ حَاجِبِهِ، وَأَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْهَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ حَتَّى شَدَّ  
يَدَهَا بِقُوَّةٍ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تَنْضَحُ بِالْأَشْرِ  
بَدَتْ جِيسِيكَ مَتَأَلِّمَةً، وَامْتَلَأَ رَأْسُهَا بِالْحَيْرَةِ مِنْ مَعَامَلَةِ دَانِيَالَ الْغَيْرِ مَعْتَادَةٍ عَلَيْهَا

لَا حَظَّ دَانِيَالُ أَنَّهَا خَائِفَةٌ، فَتَرَكَ يَدَهَا وَهَدَأَ مِنْ رَوْعِهِ  
اقْتَرَبَ مِنْهَا وَكَانَتْ مَلَامُحُ الْحُزَنِ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَرْدَفَ لَهَا بِصَوْتٍ خَافَتْ مُتَوَسِّلَ  
- أَنَا أَحْبَبْتُكَ يَا جِيسِيكَ لِمَاذَا لَا تُشْعِرِينَ بِي سَيِّئَتُ مُعَامَلَتِكَ الْأَخَوِيَّةَ مَعِي، لَقَدْ فَعَلْتُ مِنْ  
أَجْلِكَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى تُبَادِلِينَني الْمَحَبَّةَ، تَلْقَيْتُ الْعِلَاجَ لِأَبْدَوْ شَابًا كَامِلًا وَتُعِيرِينَني  
انتباهك.

كَانَتْ تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ بِاسْتِغْرَابٍ!  
ثُمَّ صَمَتْ قَلِيلًا وَبَدَأَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَبَدَّلَ حَالُهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَادَ إِلَيْهِ ثَوْرَانُهُ فَقَدْ كَانَ  
مُتَنَاقِضًا مَعَهَا، تَارَةً يِعَامِلُهَا بِلِينٍ وَتَارَةً يَنْقُضُ عَلَيْهَا كَحَيَوَانٍ هَائِجٍ  
امْتَلَأَ قَلْبُ جِيسِيكَ بِالْخَوْفِ، وَأَفْلَتَتْ يَدَهَا مِنْهُ، وَسَارَعَتْ بِالْهَرُوبِ وَأَخَذَتْ تَتَادَى سَائِقَهَا  
أَنْخِيلَ بِصَوْتٍ مَرْتَفِعٍ زَاخِرٍ بِالْبَكَاءِ، وَمَا زِلْتَ تَرْكُضُ  
لَمْ يَسْمَعْهَا أَنْخِيلُ  
رَكَضَتْ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ قَدَمَهَا سَتَوْصِلُهَا إِلَى أَيْنَ، كَانَتْ لَاهِثَةً بَاكِئَةً، تَعْدُو قَدَمَاهَا وَتَرْدُدُ  
بِدَاخِلِهَا

- مَاذَا جَرَى لَكَ يَا دَانِيَالُ لَا أَصْدُقُ أَنَّكَ فَعَلْتَ بِي هَذَا، لَطَالَمَا اعْتَنَيْتُ بِكَ كَشَقِيقٍ لِي،  
وَأَشْفَقْتُ عَلَيْكَ، أَهْ يَا دَانِيَالُ لَيْتَكَ لَمْ تَتَعَامَلْ مَعِي بِقَسْوَةٍ  
تَجَاوَزْتَ حُدُودَ الْمَزْرَعَةِ حَتَّى وَجَدْتَ نَفْسَهَا عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، تَرْسُلُ نَظَرَهَا هُنَا وَهَنََا  
لَعَلَّهَا تَجِدُ مَنْ يَسَاعِدُهَا  
وَإِذَا بِهَا تَلْمُحُ عَرَبَةً مِنْ بَعِيدٍ اسْتَقَامَتْ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ، وَأَخَذَتْ تَلَوُّحُ بِيَدِهَا لِسَائِقِ الْعَرَبَةِ.  
وَمَا إِنَّ اقْتَرَبَ مِنْهَا كَانَ رَجُلًا كَبِيرًا فِي السِّنِّ.  
تَوَقَّفَ وَصَعِدَتْ الْعَرَبَةُ بِسُرْعَةٍ وَخَاطَبَتْهُ  
- أَسْرَعَ أَسْرَعَ أَخْرَجْنِي مِنْ هُنَا فَوْرًا وَكَانَتْ أَطْرَافُهَا بَارِدَةً وَتَرْتَجِفُ، وَانْسَابَ الدَّمْعُ

عَلَى وَجْنَتَيْهَا  
أَصَابَ السَّائِقُ الذَّهُولَ،

- مَا بِكَ يَا بَنِيَّتِي؟ وَإِلَى أَيْنَ تَرِيدِينَ الْذَهَابَ؟  
- لَا أَعْلَمُ فَقَطْ دَعْنَا نَبْتَعدُ مِنْ هُنَا.

أَمْضَى السَّائِقُ بِعَرَبَتِهِ لَيْلَبِي مُطْلَبَهَا، وَمَا إِنَّ ابْتَعَدُوا قَلِيلًا وَبَدَأَ اضْطِرَابُهَا يَسْتَقِرُّ  
أَعَادَ السَّائِقُ سُؤَالَهُ، مَا بِكَ مَا سَبَبُ هَلْعِكَ هَذَا؟

- إِنَّ أَحَدَهُمْ قَامَ بِمِطَارِدَتِي وَهِيَ تَنْتَظِرُ إِلَى الْوَرَاءِ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ  
- لَا بُدَّ أَنَّهُ أَحَدُ الْمَجَانِينِ الظَّاهِرِينَ مُؤَخَّرًا الْمُنْتَشِرِينَ فِي الْقَرْيَةِ  
- لَا أَظُنُّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَاذَا تَقْصِدُ بِالْمَجَانِينِ الْمُنْتَشِرِينَ بِالْقَرْيَةِ؟  
- لَقَدْ أَصَابَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَمْرٌ عَجِيبٌ وَكَأَنَّ أَحَدًا سَلَبَهُمْ عُقُولَهُمْ، إِنَّهُمْ يُصْدِرُونَ  
تَصْرِفَاتٍ غَرِيبَةً وَعَدَوَانِيَّةً، أَصَابَتْهُمْ حَالَةٌ أَشْبَهُ بِالْهَذْيَانِ، أَصْبَحُوا يَتَسَكَّعُونَ فِي  
الْقَرْيَةِ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى نَاشِرِينَ فِيهَا الرِّعْبَ

## حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي مَلَاذٌ

\*\*\*\*\*

استقبلتني نفحات سلام..  
أزاحت عن طريقي...أشواكَ الخوفِ ولخُذْلانِ  
دَثَرْتُ جَسَدِي بالأمانِ.. فأحسستُ فوراً بالحنانِ  
حملتني إلى ملاذي...حينَ لم يبقَ لي ملاذٌ

سَمِعَ صوتاً يقتربُ منه، حالةُ استنفارٍ حدثتْ لمستقبلاته الحسية فورَ سماعِ صوتها همَّ  
بالنهوضِ مُلبياً نداءها  
- هذه جيسيكَا لا ريبَ  
لم ينتظرْ أنْ تقتربَ جَرَى نَحْوَهَا  
إلى أنْ التقيا بعدَ فراقٍ  
نسيبتْ خِداًعَهُ لها  
وتذكَّرَ هوَ لحظاتٍ سعيدةٍ جمعتُهُ بها  
- جيسيكَا افتقدتُكَ كثيراً  
انهارتْ قواها وانهمرتْ دموعُها باكيةً بعدَ أنْ كانتْ في صراعٍ، كانتْ قويةً لتُخفيَ في  
العربةِ خُذْلانَهَا منْ أقربِ الناسِ لها  
ولكنْ ضَعُفَتْ أمامَ بيدرو

توسَّدتْ الأرضُ، ضَمَّتْ رجليها على وجهها، وأخذتْ تبكي بحرقةٍ، وما كانَ منْ بيدرو إلا  
أنْ تركها تبكي، واكتفى بمسحِ يديه على رأسها برفقٍ كأمٍ حنونٍ، وأخذَ يُغنيَ لها بصوتٍ  
خافتٍ أغنيةً لطالما غنَّتها له في لقاءَتهما السابقةِ  
أيقنَ أنْ وَقَعَ هذهِ الأغنيةِ على الروحِ ذا تأثيرٍ أكثرَ منْ أيِّ كلمةٍ إيجابيةٍ، وأفضلَ منْ أيِّ  
عقارٍ مهدئٍ..  
توقَّفَ عن الغناءِ بعدَ أنْ شَعَرَ بتتهيداتِ صدرها قد هدأتْ وأفرغتْ ما كانتْ تحمله منْ ألمٍ..  
- جيسيكَا انظري إليَّ  
لمْ يحتملْ رؤيتها تُعاني، أخرجَ منْديلاً منْ جيبه وكَفَكَفَ دموعها  
-  
- تَعَالَى إلى الداخلِ لتأخُذِي قسطاً من الراحةِ



سَاعَدَهَا عَلَى الْنَهْوِضِ ، كَمَا سَاعَدَهَا بِإِمْسَاكِ يَدِهَا عَلَى صَعُودِ السَّلَمِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى غُرْفَتِهِ الصَّغِيرَةِ الْمُطْلِقَةِ عَلَى السَّاحَةِ الْخَارِجِيَةِ لِلْعِيَادَةِ..

- اجلسي هنا

مُشِيرًا إِلَى سَرِيرِهِ ، ثُمَّ نَاوَلَهَا كُوبًا مِنَ الْمَاءِ

- شُكْرًا يَا بِيذْرُو

هِيََا اسْتَلْقِي وَسَاحْضِرْ لَكَ شَيْئًا تَأْكُلِينَهُ ، وَبَعْدَهَا أَخْبَرَنِي بِمَا حَدَثَ لَكَ

- لَا تَتَعَبْ نَفْسَكَ أَحْتَاجُ لِلرَّاحَةِ فَقَطْ

وَبَعْدَ تَرَدُّدٍ قَالَتْ لَهَا

وَلَكِنْ.. أُرِيدُ تَرْكَكَ لِتَرْتَاحِي ، وَلَكِنْ أَتَمَنَّى أَنْ تَخْبِرَنِي وَلَوْ بِالْقَلِيلِ ،

- مَا الَّذِي جَعَلَكَ حَزِينَةً لَنْ يَهْدَأَ لِي بِأَلْ حَتَّى أَعْرِفَ

- حَسَنًا

دَنَا نَحْوَ كُرْسِيِّهِ الْخَشْبِيِّ وَأَسْنَدَهُ إِلَى السَّرِيرِ ، وَجَلَسَ يُنَصِّتُ لَهَا

أَخَذَتْ تَحْكِي لَهَا مَا فَعَلَ بِهَا دَانِيَالُ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَنْتَلِفِظُ عَلَيْهَا

بِعَنْفٍ

أَوْ يُجَاوِلُ التَّقَرُّبَ مِنْهَا بِشَكْلِ غَيْرٍ لَائِقٍ لَمْ تَعْهَدْ مِنْهُ مِنْذُ أَنْ كَانَتْ طِفْلَةً ، فَهُوَ يَعَامِلُهَا كَمَا

يَعَامِلُ أُخْتَهُ إِيزَابِيَلَا ، ثُمَّ أَرْدَفَتْ تَقْصَ عَلَيْهِ مَا أَخْبَرَهَا بِهِ سَائِقُ الْعَرَبَةِ مِنْ أُمُورٍ غَرِيبَةٍ

الْأَطْوَارِ حَدَّثَتْ لِأَهَالِي الْقَرْيَةِ

وَبَعْدَمَا أَخْرَجَتْ مَا فِي نَفْسِهَا ، ارْتَاحَتْ وَارْتَاحَ جَسْدُهَا ثُمَّ غَطَّتْ فِي النَّوْمِ ، وَخَرَجَ بِيذْرُو

مِنْ غُرْفَتِهِ ؛ لِيَذْهَبَ إِلَى غُرْفَةِ نِيكُولَاسِ

فَتَحَ الْبَابَ بِقُوَّةٍ صَادِرٍ عَنْ غَضَبٍ كَانَ يَخْفِيهِ أَمَامَ نَقْطَةِ ضَعْفِهِ جِيْسِيكَا .

- بِيذْرُو لَقَدْ أَخَفَّتَنِي

صَفَعَ الْبَابَ بِسُرْعَةٍ ، وَدَنَا مِنْ نِيكُولَاسِ ، وَضَرَبَ طَاوِلَتَهُ الَّتِي يَجْلِسُ بِجَانِبِهَا حَتَّى احْمَرَّتْ

بِهَا كَفَ بِيذْرُو

- مَاذَا فَعَلْتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْؤُومِ ؟

- مَاذَا تَقْصِدُ ؟ أَهْدَأُ وَتَحْدِثُ إِلَيَّ بَرْوِيَّةٍ لَا أَفْهَمُكَ

- سَائِقُ الْعَرَبَةِ أَخْبَرَ جِيْسِيكَا بِأَنَّ خَطْبًا مَا أَصَابَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ! أَصْبَحُوا يَتَصَرَّفُونَ

بِغَرَابَةٍ كَأَنَّ عَقُولَهُمْ تَبَخَّرَتْ ، لَا تَخْبِرُنِي بِأَنَّكَ لَمْ تَلَاظْ هَذَا أَيْضًا

- لَاحِظْتُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا دَخَلَ لِي بِذَلِكَ

صَمَتَ لِبَرْهَةٍ ؛ لِيَبْتَسِمَ ابْتِسَامَةً اِحْتِقَارٍ لِيرْدَفَ بَعْدَهَا

- تَقُولُ لَا دَخَلَ لَكَ .. حَسَنًا سَأَوْضِحُ لَكَ أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ تَفْسِيرَ مَا تَقُولُ ،

هَلْ تَعْلَمُ بِأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ السَّائِقُ لَجِيْسِيكَا كَانُوا فِي مَقْصُورَتِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ

- وَكَيْفَ عَرَفْتَ ؟

أَلَمْ تَقْصُ عَلَيَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْاِحْتِقَالِ مَاذَا جَرَى وَمَنْ حَضَرَ

هَلْ تَذْكُرُ السَّيِّدَةَ الَّتِي خَانَهَا زَوْجُهَا وَفَضَّلَتْ الْاِحْتِقَاطَ بِالْقِطْعَةِ ، أَتَعْلَمُ مَاذَا حَدَثَ لَهَا...

ها ١١١؟

قَتَلْتُ زَوْجَهَا بدم باردٍ، وغيَرها ممن حضرَ الحفلَ الذينَ ذكُرُهُم السائقُ مهلاً.. هذا يفسرُ تصرفاتُ دانيالَ الغريبةَ مع جيسيكَا ويفسرُ أيضاً..

- ماذا؟

- لا شيءَ

ردَ بهذه الكلمة ليخفيَ ما يُكنُّ في نفسه من شكٍ بأنَّ نيكولاسَ أصابه ما أصابَ مَنْ في الاحتفالِ.

فهو في الآونة الأخيرة قد تغيَّرَ كلياً، فأصبحَ سريعَ الغضبِ، ويُحدثُ نفسه بصوتٍ مرتفعٍ ويضحك معها تارةً إلا أنَّ بيدرو لم يُعرَ ذلك الأمرَ انتباهاً

- أينَ سرَّحتَ يا بيدرو

- أنا مُنصتٌ، أكملَ حديثك

- قد يكونُ ما قلته صحيحٌ، ولكن هل نسيتَ بأنِّي جرَّبتُ المصلَ على نفسي قبلَ

الاحتفالِ بأسبوع ولم يحدث لي أيُّ مضاعفاتٍ؟

- صحيح، وأنا أضفتَ الكمية المحددة من المصلِ لعصيرِ البرتقالِ مثلما أمرتني

ردَّ نيكولاس بغضبٍ شديدٍ:

- ماذا؟ متى حصلَ هذا؟

- أُلِّمَ تأمرني في الليلة التي تسبقُ الاحتفالَ أنْ أُجهزَ عصيرَ البرتقالِ مع المصلِ

قبلَ مُغادرتي لمقابلة جيسيكَا؟

راحَ نيكولاس يتخبطُ في أرجاءِ الغرفةِ واضعاً يديه على رأسِهِ من هولٍ ما سمعَ وهو يرددُ

- لقد انتهى كل شيءٍ

- ماذا بك يا نيكولاس

أوقفَ بيدرو نيكولاسَ عن الحركة، وأجلسَهُ كَرْهاً على الكرسي

- ماذا تقصدُ؟

- لقد نسيتُ أنني أمرتك بذلك

ثم صمتَ لعدم امتلاكه حينها الجرأة للنطقِ

- هَيَّا تكلمْ ماذا حصلَ؟

- لقد.. لقد وضعتُ جرعةً أخرى في العصيرِ قبلَ أنْ أفتحَ لهم بابَ المقصورة،

لم أكن أعلمُ أنني حينها فتحتُ لهم بابَ الهلاكِ

تَسَمَّرَ بيدرو عن الحركة، وأصبحَ مشاركاً له حالة الصدمة، وازدادَ وقعها على قلبه حينما

جالَ في خياله كيفَ سيتَهَشَّمُ قلبُ جيسيكَا المكسورِ لو علمتُ بهذه المصيبة، لأنَّه يعلمُ أنَّه

شريك في هذا أيضاً

أكملاً يومهما في الغرفة صامتَيْن منكسرينِ

وبحلولِ المساءِ أخذَ كُلُّ مِنْهُم مَسَاحَةً فِي أَرْضِيَةِ الْغُرْفَةِ وَ رَمَى بِجَسَدَيْهِمَا عَلَيْهَا إِلَى أَنْ  
غَطَّا فِي النَّوْمِ فَكَانَتْ الْحَسْرَةُ وَسَادَتْهُمَا وَالنَّدَمُ غَطَّاهُمَا فَكَانَتْ أَسْوَأَ لَيْلَةٍ قَضَاهَا الصَّدِيقَانِ  
كَمَجْرَمَيْنِ فِي زَنْزَانَةٍ.

## ١٨ فَتَاةُ الرَّيْفِ

\*\*\*\*\*

استيقظت جيسيكا في الصباح الباكر،  
فقد أخذت قدر من الراحة والنوم العميق بعد عناءٍ وتخبُّطات نفسية صارعتها بالأمل والحب  
الذي منحها إياه بيدرو،  
وها هي مفعمة بالنشاط.  
توجهت إلى المطبخ لإعداد الفطور قبل أن يستيقظ بيدرو ونيكولاس، وقفت أمام بابِ  
المطبخ، ثم قالت:

- منذ فترة لم أعد الفطور، هيا لنبدع اليوم أبعدت شعرها إلى الخلف ثم ربطته جيداً،  
وتفقدت المطبخ، أرادت أن تعدّ القهوة، فأخذت بالبحث في الأدراج المقسمة  
الموجودة، وقد وجدته بسهولة؛ لقلة عدد الأدراج.

- أخذت الإبريق ثم أضافت الماء والقهوة وأشعلت الغاز المتوسط، ووضعت الإبريق فوقه،  
وتوجهت إلى صُنْبُور الماء وغسلت ثلاثة أكواب، ووضعتها فوق الطاولة، تفقدت القهوة  
ولم تكمل غليانها بعد، ابتسمت قائلة:  
كان الماء بارداً، إذن سأبقي الإبريق على نار هادئة إلى أن أحضر الفطور، غسّلت يديها  
وتمتمت أحتاج إلى زيت الزيتون وبندورة وشرائح التوست، وأيضاً سأقوم بتحضير  
التورتية.

استيقظ نيكولاس واختلس النظر إلى المطبخ

- صباح الخير
- صباح الخير، ثم أمسكت يديها قائلة: سيكون الفطور جاهزاً  
فقط أمهلني بعضاً من الوقت
- ردّ نيكولاس ووضع يده على وجهه ثم أنزلها إلى قفا رقبته
- لا عليكِ خذي وقتكِ لا شهية لي للأكل.
- حسناً.. هلاً أيقظت بيدور ليتناول معي وجبة الإفطار؟
- بكل تأكيد هنيئاً لكما مقدماً
- أشكرك
- أمسكت برأسها قائلة:
- لا أملك المزيد من الوقت هيا جيسيكا

أختارت عددا من البرتقال الفاقع لونُها وقامت بعصرها، وأخذت أكواباً زجاجيةً متشابهةً شفافة اللون ذات قاعدة طويلة، وغسلتها وأخذت وعاءً زجاجياً ضخماً، سكبت عصير البرتقال بعد غسله، و قامت بتقشير البطاطا وقطعتها شرائح دائرية، والقليل من زيت الزيتون في المقلاة، ووضعت البصل ثم استمرت بالتحريك إلى أن بدأ البصل يذبل، ثم أضافت شرائح البطاطا، وأخذت تقلب يميناً ويساراً، ثم قامت بكسر حبات البيض وخففتها وسكبته في المقلاة، ووضعت عليه الغطاء لدقائق ثم فتحت الغطاء وقلبتُه على الجهة الأخرى ضحكت ثم قالت:

- يا له من لون جميل، لا أشك في حلاوة مذاقه  
أين أكبر مقاس من هذه الأطباق الأم لا أراه حسناً سيفي هذا بالغرض، حجمه مناسب، نقلت التورتية في الصحن، وكان لون الجهة الأخرى متطابق تماماً اردفت سيعجب بيدرو حتماً ذهبت إلى الساحة وفي يديها سلة متوسطة الحجم، أخرجت منه مفرشاً باللون الأبيض ووضعتة على الأرض، وأخرجت أكواب العصير والفلفل والملح، ثم قامت بترتيبه فوق المفرش، وعادت إلى الداخل لتحضر الأطباق - وهي تبتسم- سوف يأكل منها وستعجبه، وضعت جميع الأطباق، وأخذت تنظر إلى المكان هل نسيته شيئاً ما؟ اوهه نعم صحيح كأس العصير عادت جيسيكا مسرعة إلى المطبخ وأحضرتُه

جلست جيسيكا تتأمل الأجواء والهواء يداعب شعرها الجميل، ويغطي وجهها، تبعدُ جيسيكا شعرها اا بيدها اليمنى وتضعه خلف أذنها، نظرت إلى العيادة ورأت بيدور قادماً نحوها أدارت وجهها، وأدخلت يدها داخل السلة وأخذت الشوكة وقف بيدور في ذهولٍ رافعاً يديه وهو مبتسم!

- ما هذا يا جيسيكا؟  
- أطلقت ضحكة، هيا لنفطر قبل أن يبرد  
جلس بيدور وأخذ فنجاناً من القهوة واستنشقه قبل أن يرتشف منه قائلاً:

- يا لها من رائحة! كيف علمت بأنني أفضل تناول القهوة في الصباح؟  
ابتسمت قائلة:

- لست غامضاً إلى هذه الدرجة

بادلها الابتسامة ثم أردف:

- أين حصنك من القهوة؟

أمسكت بالكوب قائلة:

- أرغب في تناول عصير البرتقال

أحضرت لك كأساً أيضاً.

- سأشربُه بعد انتهائي من الفطور.  
 قَدَمْتُ إليه طبقَ التورتية قائلة:  
 - أَلنْ تتذوقُ منه؟  
 - بلى، وهل سأرفضُ شيئاً من يدِكَ؟  
 أخذَ قطعةً ثم أكلها مُغمَضُ العينين، كانت جيسيكَا تراقبُ ملامحَه جيّداً وهو يأكلُ غمغم  
 بيدرو  
 اممم ثم بلعه، وقال:  
 - لمْ أُنذِقْ أَلذَّ منْ هذهِ التورتية، ثُمَّ أخذَ قطعةً أخرى وأكلها  
 بشراهةٍ

بَعَدَ تناولهما لطعام الإفطار  
 بدّأوا في الحديثِ الذي افتتحه بيدرو بالاعتذار عما بَدَرَ منه ذلكَ اليوم،  
 - أخذَ يشرحُ لها قِصَّتَهُما، وأنَّهما أَرادا الخيرَ للقرية، وقد تغاضى عن قوله لَهَا ما  
 انكشفَ لَهُ ليلةَ البارحةِ من مصيبةٍ..  
 بادرتُ هي الأخرى بفتح حديثها بطلبِ أَرادتهِ منه.  
 - بيدرو أنتَ تعلمُ أَنِّي فقدتُ الأمانَ في المنزلِ، وأريدُ الذهابَ إلى خالتي مَارسيلا في  
 المدينةِ  
 - اعتدلَ في جليسته، ووجَّهَ جسدهَ إليها غداً سأخذُكِ، ولكنْ أخشى أنْ يلحقَ بكِ دَانِيَالُ  
 إلى المدينةِ.  
 - لا تقلقِ سأكونُ بأمانٍ، ولنْ يستطيعَ دَانِيَالُ الاقترابَ مِنِّي.  
 قال وفي صوتِه حزنٌ  
 - إذنْ ستتركينني وحدي؟  
 - عاجلاً أم آجلاً سنعودُ جميعاً إلى قريبتنا، لا تخفِ  
 - لماذا لا أذهبُ معكمِ إذنْ؟  
 رَدَّتْ مسرعةً كلمةً  
 - لا  
 صمَتَتْ قليلاً وأكملتْ  
 - من الأفضلِ أنْ نبتعدَ سيكونُ في صالحنا وسنعلمُ حينها ما مصيرنا،  
 وسنقررُ إذا سنستمرُّ أم لا.  
 تَمَعَّنَ في النظرِ إليها ثم ابتسم، لَنْ اضغَطَ عليكِ وسأكونُ في انتظارِك، وإنْ تعذَّبْتُ من  
 الانتظارِ.

قطعتُ الخادمةُ لوسيا حديثهم  
 مرحباً جيسيكَا مرحباً بيدور  
 تقومُ جيسيكَا باحتضانها، وتحضنها لوسيا قائلة:

- عزيزتي جيسيكا لقد قلقتُ عليكِ
  - لا تقلقي، أنا بخير
  - أَلنْ تَعودي إلى المنزلِ
  - لا، غداً سنذهبُ أنا وبيدرو إلى محطةِ القطارِ، سنذهبُ إلى خالتي السيدة مَارسِيلا، ولكن أخبريني عندما يكونُ دانيال خارجَ المنزلِ أريدُ أخذَ بعضاً من مَلابسي.
- رَدَّتْ في لهفةٍ
- الآن، ليسَ موجوداً، يمكنكِ الذهابِ وسأرافقكِ
  - بيدرو استأذَنُكِ، سأذهبُ معها لأخذِ أغراضِ الرحيلِ.
- رَدَّ بيدرو محذراً
- اعتني بنفسكِ.

## التَجْمَهُرُ الْمَشْهُورُ

\*\*\*\*\*

خَلَفَ كُلَّ نَفْسٍ رَاكِدَةٍ بَرَكَانٍ كَامِنٍ مَا إِنَّ أَتَا حَتَّ لَهَا الْفَرَصُ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ سَكُونِهَا،  
تَتَبَثَّقُ مِنْهَا أَشَدُّ رَدَاتِ الْفَعْلِ وَمَا لَا يُحْمَدُ عَقْبَاهُ لَذَلِكَ..

خَرَجَ مِنْ خَلْفِ الْأَشْجَارِ مَتَجِّهًا إِلَى هَدَفِهِ، عَيْنَاهُ حُجِبَتْ عَنْ رُؤْيَا مَا حَوْلَهُ، وَلَمْ يُبْصِرْ  
سِوَى الْإِنْتِقَامِ  
مَشَى بِخَطًى سَرِيعَةً وَكَانَ يَتَنَفَّسُ بِشِدَّةٍ إِلَى أَنْ اقْتَرَبَ مِنْ مَكَانِهِ الْمَقْصُودِ  
حَامِلًا بِيَدِهِ عَصَا خَشَبِيَّةً لَفَّ فِي طَرَفِهَا فَتِيلَةً  
وَبِيَدِهِ الثَّانِيَةِ قَارُورَةً مَلِئَةً بِالسَّائِلِ الْمَشْتَعِلِ

اقْتَرَبَ مِنَ الْإِنْفَاذَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ لِبِنَاءِ عِبَادَةِ السَّعَادَةِ، وَدَنَى بِجَسَدِهِ عِنْدَ مَرُورِهِ مِنْهَا  
وَهَا هُوَ يَبْدَأُ لَشْنَ انتِقَامِهِ وَالْإِسْتِسْلَامِ أَمَامَ عَدُوَانِهِ  
سَكَبَ السَّائِلَ الْمَشْتَعِلَ عَلَى الْفَتِيلِ، وَأَخْرَجَ الْكَبْرِيتَ وَهَمَّ لِإِشْعَالِهِ  
وَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ صَوْتَيْنِ عَالِيَيْنِ وَقَعَ سَمْعُهُ عَلَى حَدِيثِهِمُ الْغَرِيبِ، وَذَلِكَ مَا شَدَّ انْتِبَاهَهُ  
- تَوَقَّفَ عَنْ إِشْعَالِ الْكَبْرِيتِ  
وَأَخَذَ يُنْصِتُ لِحَدِيثِهِمْ بِتَرْكِيزٍ

كَانَ نِيكُولَاسُ وَ بِيدِرُو يَتَحَدَّثَانِ، وَلَكِنَّ نِيكُولَاسَ بَدَى عَلَيْهِ التَّوَتُّرُ وَالْإِرْتِبَاكُ، كَانَ يَجُوبُ  
الْعِبَادَةَ وَيَقْضِمُ شَفَتَاهُ، اقْتَرَبَ مِنْ بِيدِرُو  
- أَمْتَاكُذُّ يَا بِيدِرُو أَنْ جَيْسِيكََا ذَهَبَتْ لِتَحْضِرَ لِبَاسَهَا وَأَمْتَعَتْهَا  
- نَعَمْ يَا صَدِيقِي قَدْ رَأَيْتُ لُوسِيَا وَهِيَ بِرَفَقَتِهَا وَأَخْبَرْتَنِي جَيْسِيكََا أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ مَعَهَا  
لِإِحْضَارِ مَلَابِسِهَا وَسَتَعُودُ

ارْتَفَعَ صَوْتُ نِيكُولَاسَ بِغَضَبٍ وَوَجَّهَ عَيْنَاهُ إِلَى بِيدِرُو مُرَدِّفًا لَهُ  
- أَنَا خَائِفٌ أَنَّهَا قَدْ سَمِعَتْ حَدِيثَنَا وَالْآنَ ذَهَبَتْ لِتَخْبِرَهُمْ أَنَّ مَا أَصَابَ أَهْلِي الْقَرْيَةَ مِنْ  
جَنُونٍ هُوَ مِنْ صُنْعِ أَيْدِينَا

اسْتَقَامَ بِيدِرُو وَاقْتَرَبَ مِنْ صَدِيقِهِ وَشَرَعَ يَدَهُ أَمَامَهُ مُعْبِرًا عَنْ نَفْيِ التَّهْمَةِ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلًا:



- وما شأني أنا بذلك يا نيكولاس أنت من أعطيتهم عصير البرتقال ودعوتهم لشربه  
في الاحتفال

وبينما الصديقان مُنْشَغِلان في رمي الاتهامات على بعضهما

هناك تَحَتَّ النافذة كَانَ دَانِيَالٌ قد سَمِعَ حَدِيثَهُمْ وفَطِنَ لما فعلاه

عَزَفَ عن قراره ولم يشعلُ الحريقَ في العيادةِ كما كَانَ يَخْطُطُ  
تَرَجَعَ إلى الوراءِ بِخُطُواتٍ هَادئةٍ حتى لا يَسْمَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمَا

عَبَرَ الطريقَ وهو يفكرُ بِانتقامٍ لِاذعٍ يَكُونُ أَشَدُّ شَرًّا وَأَقْوَى مَكْرًا، بدأ يُسْرِعُ في خُطُواتِهِ  
حتى أَوْشَكَ على الرِكْضِ

إلى أَنْ تَوَسَّطَ القَرْيَةَ وهنا قَرَّرَ أَنْ يُشَارِكَهُ كُلُّ مَنْ فِي القَرْيَةِ الْإِنْتِقَامَ  
ذَهَبَ إلى حيثُ يَتَجَمَّعُ أَهْلُ القَرْيَةِ  
جَابَ المَقَاهِي والأسواقَ

وَأَخَذَ يَقْصُصُ عَلَيْهِمْ ما سَمِعَ من حَدِيثِ الطَّبِيبِ ومُسَاعَدِهِ  
وَجَمْعُهُمْ وَأَخَذُوا يُخْطِطُونَ، وَتَشَابَكَتِ الأيَادِي وَتَوَحَّدَ الرَّأْيُ

تَجَمَّهَرَ أَهَالِي القَرْيَةِ وَكَانَ دَانِيَالٌ قَائِدَهُمْ، كَانَ يَصِيحُ بَيْنَهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: طَبِيبُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ  
تَتَسَابَقُونَ لِادَارِهِ هُوَ مَنْ سَلَبَ عَقُولَكُمْ، وَجَعَلَكُمْ تَشْرَبُونَ الْجُنُونَ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ

أَصَابَ الْحَقْدُ وَالْغُلُّ نَفوسَهُمْ، وَانْبَعَثَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لَهَيْبَ التَّوَعِدَاتِ وَالشَّتَائِمِ لِلطَّبِيبِ وَصَدِيقِهِ

أَخَذُوا يُجْهِزُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعِيَادَةِ وَيَسْحَقُونَ مَنْ أَصَابَهُم بِالْجُنُونِ  
تَزَوَّدُوا بِالْعُصِيِّ وَالْحَبَالِ وَبَاتُوا يَمْشُونَ كَالسَّرَبِ مُتَجَهِّينَ لِلْعِيَادَةِ

مَضَوْا وَكَانَ قَرَعَ أَقْدَامِهِمْ يُوجِي بِغَضَبِهِمْ، وَعُصِيُّهُمْ الْمَشْتَعْلَةُ أَضَاءَتْ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ  
مِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ قَتْلَهُمْ بِالْحَرَقِ

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْأَخْشَابِ  
وَبَاتُوا يَتَشَاوَرُونَ كَيْفَ هُوَ انتقامُهُمْ وَخُطُواتُهُمْ تَتَسَارَعُ، وَغَضَبُهُمْ يَثُورُ، وَهَا هُوَ انْقِلَابُ  
السَّحَرِ عَلَى السَّاحِرِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَتْ جَيْسِيكَا وَلُوسِيَا فِي طَرِيقَهُمَا إِلَى الْعِيَادَةِ بِصَحْبَةِ أَنْخِيلِ  
مَا إِنَّ وَصَلْنَا اسْتَقَلَّتْ جَيْسِيكَا الْعَرَبَةَ، وَتَبَعَتْهَا لُوسِيَا بَعْدَ أَنْ أَوْصَتْ زَوْجَهَا قَائِلَةً لَهُ:

- أريدُ منك الذهابَ يا أنخيل إلى السوقِ لتُحضِرَ بعضًا من احتياجاتِ جيسيكَا من أجلِ  
السفرِ  
- حسنًا سأذهبُ الآنَ وشَدَّ على سياطه؛ ليقودَ العربةَ على عجلةٍ

أكملتُ جيسيكَا ولوسيا طريقهما حتى قرعا بابَ العيادةِ، فقد كانتُ وكأنَّها خاليةٌ، حيثُ  
الهدوءُ كانَ سيدَ الموقفِ  
ما إنْ دخلتا إذا بهما! يلمحان نيكولاس وبيدرو عاكفينَ على أدواتٍ، وهناك بُخارٌ يتصاعدُ  
وكانَّهما في معملٍ كيميائيٍّ  
لقد كانَ الصديقانِ منغمكينَ في العملِ حتى أنَّهما لمَ يشعرا بدخولِ أحدٍ  
كان نيكولاس متعرقَ الوجهِ أحمرَ الوجنتين لا يفارقُ نظره قنيناتِه ومركباتِه المرصوصةَ  
أمامه  
وكان بيدرو مساندًا له وشادًا على يده ، كانا يُمزجان ويُقطران لعلَّهما يتوصلان لشيءٍ  
مضادٍ يفسدُ مفعولَ مصلَّهما السابقِ  
فهل ستكونُ اختراعاتُ نيكولاس هذه المرةَ في صالحه؟

## ٢٠ الوداع الأخير

\*\*\*\*\*

دَخَلَ ساحةَ العيادةِ راكضًا باتجاههم حتى أَفْجَعَهُمْ بدخوله المفاجئ للعيادةِ  
التقطت نفسه سريعًا أمرهم قائلاً:

- اهربوا حالا

أنخيل!

اتَّبَعَ ببیدرو لوسيا بالحديث

- ماذا تقصد؟..

أجاب أنخيل وهو يلهث

- دانيال يَجُوبُ القريةَ أمرًا رجالها بالتجمهر، متجهين إلى العيادةِ

- ولماذا يفعل ذلك... ردَّ نيكولاس بتعجب يتسم بالخوف

- سمعته يقول لهم: إنكما مُخادعان، وكنتما سببًا في تدهور حال القرية ويجبُ

التخلص منكما وغيرها من عبارات التحريض التي أشعلت فتيل الانتقام

سألت جيسيكَا ببیدرو بذهول

- هل هذا صحيح يا ببیدرو؟

- لقد وقع خطأ في التجربة الأخيرة، ولكن نيكولاس بصدد ابتكار تركيبة مضادة

للمصل كفيلة بتعديل الخطأ

قاطع حديثهم أنخيل وقال بنبرة حادة وهو ينظر لهم جميعًا

- هيا لا وقت لديكم، اهربوا، وأنت يا لوسيا غادري أنت وجيسيكَا إلى المنزل

ردت جيسيكَا سريعًا

- لا، سنهرب جميعًا إلى قطار القرية بواسطة عربتك

أجاب نيكولاس والياس تمكن منه

اذهبا أنتم

ردَّ ببیدرو باندعاش

- لماذا يا نيكولاس

- سأصلح ما اقترفته، ارحل أنت، كنت خير عونًا لي، ولا أريد أن اتسبب لك بالهلاك

لن أبرح مكاني حتى تأتي معنا لن أتخلي عن صديقي

قاطعهُ قائلاً:

- سوف أنتظرهم وأعتذر منهم وسأعدهم بأنني سأشفي كل واحد منهم بعد انتهائي من المصل المضاد

ردّ بيدرو بغضب

- هل جُننت، سيفتلونك قبل أن تنطق بأول كلمة مدافعاً عن نفسك

احتضن نيكولاس قنينات اختباراته قائلاً:

- لن اتخلي عن حلمي في إسعاد الناس

- هيّا يا نيكولاس أنت تعلم أن مضاعفات المصل أثرت على عقولهم وأصبحوا

مسعورين، لن يتحكموا بعقولهم حتى ينتظروا انتهائك من تركيبك المضادة

ضحك نيكولاس بصوت مرتفع ثم أجاب

- وهل أنا في منأى عن الجنون؟ لقد شربت كأس الجنون معهم؟

ثم تابع قائلاً حيث تبدلت ضحكاته إلى آهات حزينة

- ارحلوا ساموت بين قنيناتي وبين تجاربي، ساموت منتشياً السعادة

اقترب منه بيدرو بعد تيقنه بأن نيكولاس لن يغيّر رأيه واحتضنه بشدة كاحتضان صديق

ميت قبل دفيه

- سأشتاق إليك يا صديقي

- لا تقلق سأنساك بعدما تلقي روجي بلونا

ثم أرخى يديه لتكسر قنيناته وفضل احتضان صديقه بدلاً عنها

أحس بيدرو بيد جيسिका تمسك كتفه قائلة:

- هيّا يا بيدرو دعنا نغادر

شعر بيدرو بانفصال جسده عن روحه حينما هم بترك صديقه حيث لم يتمالك نفسه، وخرج

مسرّعاً من العيادة قبل أن ينطق بكلمات الوداع الأخيرة

احتضنت جيسिका نيكولاس وودعته قائلة:

- إلى اللقاء أيها الطبيب

حدق في عينيها ثم أردف يتلو وصيته الأخيرة

- جيسिका.. لن تجدي زوجاً أخلص لك وأحس عليك من بيدرو، لا تتخلي عنه مهما

كان.

أومات له بالإجابة ثم احتضنته تارة أخرى قبل أن تلحق بالجميع

وصلوا إلى العربية وقبل أن يهملوا بالصعود قال لهم أنخيل:

أسرعوا بالمغادرة، أنا سأبقى مع دانيال

- لماذا.. أجابت جيسिका

- كي لا يشك بمغادرتكم وغداً سأخبره بمغادرتكن إلى السيدة مارسيليا بالقطار، وطبعاً

لن أخبره بمرافقة بيدرو معكن

عقبّت لوسيا على حديثه

- وأنا سأقود العربية خشية أن يرى أحدهم بيدرو

ركبوا العربَة وتحركوا سريعًا باتجاه مخرج القرية  
وصل لساحة العيادة أبناء القرية رجالها ونسائها وولدائها الذين في سابق الأيام قد أتوا إليها  
تسابقهم الفرحة لحضور افتتاح عيادة السعادة  
وها هم الآن قد تجمهروا مريضهم وصحيحهم محتشدين مسلحين بأعواد النيران المشتعلة  
مُصدرين أهزيج التوعِد والانتقام، أصواتهم كأزيز أسود متوحشة متعطشة للدماء..  
وما أن وصلوا، دخل نفرٌ منهم العيادة؛ ليمسكوا بالطبيين قبل تقديمهم طعمًا لأبناء القرية ؛  
ليجدوا الطبيب نيكولاس ممددًا على الأرض بين قنيناته المتكسرة ي صارع الموت بعد أن  
شرب كمية كبيرة من مصل السعادة

- أين بيدرو؟

رد بلسانٍ ثقيلٍ

- يختبئ في الأعلى

وجّه دانيال حديثه لمن معه قائلاً:

- لا فائدة من إخراجهم إنّه يحتضر، والآخر مختبئ من مصيره المحتوم

- إذن دعنا نحرق العيادة بمن فيها

أجاب بنبرة حماس رافعًا ذراعَه لأعلى مؤكدًا على النصر قائلاً:

- افعلوا ما شئتم الآن ستال قرية قشتالة من هذين المجرمين

## بَعِيدًا عَنِ الْجُنُونِ

\*\*\*\*\*

- مَنْ بَيْنَ سِتَارَةِ الْعَرَبَةِ الْمَقْسُومَةِ إِلَى قَسَمَيْنِ كَانَ يَنْظُرُ بِيدِرٍ إِلَى مَنْظَرِ دَخَانِ النَّارِ الْأَسْوَدِ  
الْمَتَبَخِّرِ فِي السَّمَاءِ مِنْ بَعِيدِ الصَّادِرِ مِنْ وَسْطِ الْقَرْيَةِ  
كَانَ يَسْأَلُ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ
- هَلْ نَجُوتُ بِمَعْجَزَةٍ يَا صَدِيقِي أَمْ أَنَّ هَذَا الدِّخَانَ نَاتِجٌ عَنْ تَفَاعُلِ لَهَيْبِ النَّارِ مَعَ  
مَرَكِبَاتِكَ وَ..  
ثُمَّ تَوَقَّفَ قَلِيلًا، ثُمَّ تَابَعَ
- وَرَفَاتِكَ؟  
دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَأَسْدَلَ السِتَارَةَ مَعَ تَوَقُّفِ الْعَرَبَةِ، ثُمَّ سَأَلَ جِيسِيكَ الَّتِي تَجْلِسُ بِجَوَارِهِ:
- لِمَاذَا تَوَقَّفْتَ لَوْسِيَا؟  
- لَا أَعْلَمُ  
تَرَجَّلْتُ لَوْسِيَا مِنَ الْعَرَبَةِ وَاتَّجَهْتُ نَحْوَهُمَا ثُمَّ قَالَتْ:
- اقْتَرَبْنَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَرْيَةِ قَدْ يَكُونُ رِجَالُ الْقَرْيَةِ مَتَمَرِّكِينَ هُنَاكَ مَأْمُورِينَ بِالْقَبْضِ  
عَلَيْكَ.
- صَحِيحٌ هَذَا وَارِدٌ، وَلَكِنْ مَاذَا سَأَفْعَلُ  
وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ مِنْهُمْ أَجَابَتْ جِيسِيكَ
- مَا رَأَيْتُكَ بَأَنَّ تَتَشَبَّهَ بِقَضْبَانِ الْعَرَبَةِ مِنَ الْأَسْفَلِ، إِلَى أَنْ نَمْرَ مِنْ هُنَا بِسَلَامٍ، هَلْ  
تَسْتَطِيعُ؟
- حَسَنًا لَا يَوْجَدُ حُلٌّ أُخَرُ  
تَابَعُوا السَّيْرَ، وَقَدْ وَقَعَ مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ فَقَدْ لَمَحَتْ لَوْسِيَا رِجُلَيْنِ مِنْ رِجَالِ الْقَرْيَةِ مَتَجَهِّينِ  
نَحْوَ الْعَرَبَةِ فَبَدَأَتْ هِيَ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِلتَّوَقُّفِ
- مَنْ أَنْتِ؟ وَمَنْ مَعَكَ فِي الْعَرَبَةِ؟  
- أَنَا لَوْسِيَا خَادِمَةُ مَنْزِلِ مَارْسِيَلَا سِيْمُونِ وَدَاخَلَ الْعَرَبَةَ جِيسِيكَ ابْنَةُ أُخْتِهَا  
أَشَارَ بِطَرَفِ عَيْنِهِ لِلرَّجُلِ الْآخَرِ بِتَقْتِيشِ الْعَرَبَةِ ثُمَّ تَابَعَ قَائِلًا:
- وَلِمَاذَا سَتَغَادِرَانِ الْقَرْيَةَ؟  
- سَنَغَادِرُ إِلَى قَرْيَةٍ لَامُنْتَشَا لِحْضُورِ حَفْلِ زَفَافِ صَدِيقَتِي  
ثُمَّ أَرَدَفَتْ قَائِلَةً:

- سيدي هل هناك خَطْبٌ يستدعي تفتيشنا؟
- نحنُ نحرسُ مخرجَ القرية؛ خوفاً من هروبِ مجرمين
- وبعدَ تفتيشٍ دقيقٍ من داخلِ العربيةِ ردَّ عليه الآخرُ
- لا يوجدُ شيءٌ في العربيةِ
- هل تحققتَ من أسفلِ العربيةِ؟
- لا ، لكن سأتحققُ الآنَ
- خفقَ قلبُ جيسكا عندَ سماعِها ما كانَ منَ الرجلينِ
- بادرتُ لوسيا بالحديثِ مع الرجلِ تحاولُ إخفاءَ ارتباكِها
- هل تأذنُ لنا سيدي بالرحيلِ لم يبقَ على غروبِ الشمسِ إلا القليلُ
- انتظري
- ردَّ الآخرُ
- لا يوجدُ شيءٌ دعهما ترحلَا
- أخذَ يطبطبُ على رقبةِ خيلِ العربيةِ، ومن ثمَّ أشارَ إليهما بالرحيلِ
- هيا تحركي
- شدَّتْ لوسيا رباطَ الخيلِ، وبدأً بالتحركِ، وعلاماتُ الحيرةِ تشكَّلتُ على ملامحِها هل تفرحُ
- لعدمِ عثورهما على بيدرو أم تحزنُ على فقدانهما له..
- وبعدَ بضعةِ أمتارٍ منَ خروجهم من القريةِ توقفتُ لوسيا وأخفصتُ رأسها تطمئنُ على
- جيسكا التي وجدتها في حالةٍ يرثى.
- وما إنْ رأتها جيسكا إلا بادرتها بالأسئلةِ التي كانتَ تجولُ في ذهنها بعد مغادرتهم قسالة
- أينَ ذهبَ يا ترى؟
- أيعقلُ أنه وجدَه وكبلَه ثمَّ كذبَ علينا وتركنا نغادرُ؟
- ردِّي عليَّ لوسيا
- أينَ بيدرو؟
- اهْدأِي يا جيسكا سننتظرُه في القريةِ المجاورةِ قد يأتي إلى هُناك..
- شهقتُ جيسكا بعد سماعِها صوتاً ضئيلاً لإطلاقِ نارٍ صادرٍ من قريتهم التي خرجوا منها
- قبلَ قليلٍ
- هل سمعتِ؟
- نعم
- تملَّكهما الخوفُ الذي أخفَّته لوسيا وأظهرته جيسكا بارتجافِ أطرافِ يديها وقالت بصوتٍ
- يرتجفُ
- قنتتلوو بيببيدرو
- احتضنتها ثم تابعتُ قائلةً:
- لا تقولي ذلك إنه بخيرٍ، دعينا نكملُ طريقنا إلى القريةِ
- قاطعَ حديثها ارتطامُ حجارةٍ على العربيةِ

أُخْرِجَتَا رَأْسَيْهِمَا لَتَتَّبِعَ مَا مَصْدَرُهُ، وَبَعْدَهَا تَوَالَتْ عَلَى مَسَامِعِهِمَا صَوْتُ فَحِيحٍ صَادِرٍ مِنْ خَلْفِ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ تَبْعُدُ عَنْهُمَا قَلِيلًا، وَإِذَا بِجَسَدِ إِنْسَانٍ فِي هَيْئَةٍ رَثَّةٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهَا

تَبَدَّلَتْ مَلَامُحُ الْحَزَنِ عَلَيْهِمَا بَعْدَ أَنْ رَأَتَا بِيَدَوْرٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُمَا  
خَرَجَتْ جَيْسِيكَا مِنَ الْعَرَبَةِ مَسْرَعَةً بِاتِّجَاهِهَا قَائِلَةً:

- بِيدِرُو حَمْدًا لِلرَّبِّ عَلَى سَلَامَتِكَ

قَابِلُهَا بِابْتِسَامَةٍ أَرْدَفَ بَعْدَهَا

- أَعْتَذِرُ عَنْ إِصَابَتِكُمَا بِالْهَلَعِ بِسَبَبِي

خَرَجَتْ لَوْسِيَا مِنَ الْعَرَبَةِ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ:

- كَيْفَ أَفَلَتَ مِنْهُمْ؟ أَلَمْ تَكُنْ فِي الْأَسْفَلِ؟

- هَمَمْتُ بِذَلِكَ وَعِنْدَ وَجُودِي فِي الْأَسْفَلِ تَرَأَى لِي مَنَحْدَرٌ صَخْرِيٌّ كَانَ يُغَطِّيهِ بَعْضُ

الْأَغْصَانِ الْيَابِسَةِ فَكُرْتُ بِأَنْ أَتْرِكَ الْعَرَبَةَ، وَأَسْلُكَ ذَلِكَ الْمَنَحْدَرَ كَانَ خَطِيرًا لَجْعَلِي

اتْدَحْرُجُ مِنْهُ بِقُوَّةٍ مِمَّا أَصَابَنِي بِبَعْضِ الْجُرُوحِ وَالْخُدُوشِ مَشِيرًا إِلَى ذِرَاعِيهِ وَسَاقِهِ

وَجَزْءٍ مِنْ رَأْسِهِ، أَوْصَلَنِي الْمَنَحْدَرُ إِلَى مَكَانٍ مَلِيٍّ بِالْأَشْجَارِ بَعِيدًا عَنِ الطَّرِيقِ

الْعَامِ، وَبَعْدَهَا أَسْرَعْتُ بِالْمَشْيِ بِاتِّجَاهِ قَرْيَةٍ لَامِنْتَشَا الْمَجَاوِرَةِ لِأَلْحَقَ بِكَمَا.

دَعْنَا نَدْخُلَ الْعَرَبَةَ لِنَتَرْتَّاحَ بَعْدَ هَذَا الْعِنَاءِ.

- كَلَّا، ادْخُلَا أَنْتُمَا، وَأَنَا سَأَقُودُ الْعَرَبَةَ، أَنَا بِخَيْرٍ

رَدَّتْ لَوْسِيَا سَرِيعًا

- وَلَكِنْ..

- لَا تَقْلَقِي، فَقَطْ أُرِيدُ بَعْضَ الْمَاءِ مِنْ فَضْلِكَ

تَابَعُوا السَّيْرَ وَوَصَلُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الْمُنَشَوْدَةِ، ثُمَّ مَكَّنُوا فِي أَوَّلِ نُزُلٍ وَجَدُوهُ، فَقَدْ أَنَهَكَهُم

التَّعَبُ..

وَمَعَ إِشْرَاقِ يَوْمٍ جَدِيدٍ تَسَلَّلَ الْأَمَلُ إِلَى أُرُوحِهِمْ وَتَفَاعَلُوا بِهِ، وَبَعْدَ أَنْ تَتَاوَلُوا وَجَبَةً إِفْطَارِهِمْ

سَرِيعًا تَاهَبُوا لِلرَّحِيلِ وَانْطَلَقُوا إِلَى طَرِيقِ السَّكَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ الَّتِي تَبْعُدُ عَنِ الْقَرْيَةِ سَاعَتَيْنِ..

لَمْ تَكُنْ مَحْطَةُ الْقِطَارِ مَكْتَنَظَةً بِالْمَغَادِرِينَ، لَوْصُولِهِمْ مُبَكَّرًا، حَيْثُ تَسَنَّى لَهُمُ الْإِسْتِمْتَاعُ

بِالنَّظَرِ إِلَى النُّقُوشِ الْمَلُونَةِ وَالزُّخَارِفِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي تَزِينُ الْمَكَانَ

قَبْلَ وَقُوفِ بِيدِرُو لِطَابُورِ قَطْعِ التَّدَاكُرِ الَّذِي تَكُونُ مِنْ أَمْرَاتَيْنِ وَسَبْعَةِ رِجَالٍ

بَادِرَ بِيدِرُو بِالْحَدِيثِ مُوجِّهًا حَدِيثَهُ لِلَوْسِيَا

- هَلْ أَقْطَعُ لَكَ تَذْكَرَةً لِلذَّهَابِ مَعَنَا إِلَى مَدِينَةِ تُولِيدُو؟

تَلَعَثَتْ قَبْلَ الرَّدِّ فَقَدْ تَدَاخَلَتْ كَلِمَاتُهُ فِي عَقْلِهَا مَكُونَةً لَغْزًا صَغِيرًا

- مَاذَا تَقْصِدُ بِقَوْلِكَ؟ وَمَا عِلَاقَتُنَا بِمَدِينَةِ تُولِيدُو؟

ابْتَسَمَتْ جَيْسِيكَا ثُمَّ رَدَّتْ قَائِلَةً:



- لقد تحدّثنا أنا و بيدرو بعد تناول إفطارنا، وقررنا الرحيل معًا إلى توليدو المدينة التي كان يسكن فيها قبل مجيئه إلى القرية
- أضاف بيدرو على إجابة جيسيكّا متبسّمًا
- سننزوج ونعيش هناك.. هل هذه إجابة كافية لترضي فضولك؟
- تبددت ملامح التعجب إلى فرح أنارت وجه لوسيا
- حقًا
- احتضنت جيسيكّا التي بدأ عليها الخجل واضحًا في احمرار وجنتيها
- مبارك لكما مقدّمًا، سيفرح هذا الخبر سيدي ماري سيلا
- إذن لن تأتي معنا
- لا، سأرحل إلى مألقة
- حسنًا، كيفما تشائين
- ذهب بيدرو ليقطع تذكرة إلى مدينة مألقة، وتذكرتين إلى مدينة توليدو
- أبلغني خالتي وإيزابيلا سلامي وطمئننيهما أنني بخير
- أومأت لوسيا بالإيجاب
- أخرجت جيسيكّا من جيب حقيبتها جوابًا ناولته لوسيا كانت قد خطّته داخل العربة وهم في طريقهم إلى محطة القطار
- أوصلي هذا الجواب إلى خالتي ماري سيلا، لقد ذكرت بين سطور ما حدث بيني وبين دانيال بعد رحيلها إلى مألقة، وعددت أسباب
- مرافقة بيدرو، وطلبت منها زيارتي برفقتكم جميعًا، لحضور مراسم زفافي
- وهل حددتما الموعد؟
- ليس بعد، سنبعث في البريد بطاقة الدعوة
- أمسكت لوسيا يدي جيسيكّا وقالت لها:
- أتمنى لك التوفيق يا عزيزتي
- تقدّم بيدرو نحوهما وجلس بجانبهما وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث ، إلا أنّ بيدرو كان سارحًا في ماضيه ، يتذكر وجوده في هذا المكان فور وصوله قبل صديقه نيكولاس؛ للبحث له عن مبنى لعيادته "عيادة السعادة" التي تحولت فيما بعد إلى "عيادة الجنون"
- أعلن جرس السكة الحديدية الرنّان عن جاهزية القطار الموصل لمدينة توليدو
- صعد بيدرو وجيسيكّا القطار بعد أن ودعتهما لوسيا
- للبدء بحياة جديدة بعيدة عن الجنون وقنناته.

النهاية...





نيكولاس خوسيه أحد الأطباء النفسيين في مدينة توليدو الإسبانية ، يمتلك  
مؤشرات العالم المبتكر ، طموحه وثقته بنفسه لم يجعله يستسلم أمام  
عقبة رفض الجهات الصحية ممارسة إحدى تجاربه العلاجية...  
لخطورتها على المرضى..

**فماذا لو؟** قرّر تجربتها بطريقة غير مشروعة متجاهلاً عواقب خطوته المحتملة  
في هذه الرواية ستكتشف شيئاً مختلفاً على غير المعتاد مفاده

**" أن الجنون لا وجود له...كل ما في الأمر أن السعادة إذا حضرت غاب العقل "**